المحتويات

الإهـداء ٧

شكر وتقدير ٩

تقديم سمو الأمير سلطان بن محمد بن سعود الكبير........ ١١

المقدمة ١٥

الفصل الأول: حائل المدينة.. الجغرافية والخصائص والتسمية ٢١

١- منطقة حائل الإدارية ٢٣

٢- جغرافية المنطقة ٢٧

٣- الخصائص الجغرافية للمنطقة ٣٤

٤- الخصائص الطبوغرافية للمنطقة ٤٠

٥- حائل وما قيل في النشأة والتسمية ٤٦

الفصل الثاني: حائل التاريخ.. القديم والمعاصر منه ٥٥

١- حائل قبل هجرة طيء ٥٧

٢- حائل جبل طيء ٦١

٣- حائل جبل شمر ٧٠

٤- حائل بعد القرن التاسع الهجري ٧٥

٥- حائل المعاصرة ٨٢

الفصل الثالث: آل علي.. الأصل والنسب، الموطن وأبناء العمومة ٨٥
١- آل علي.. الأصل ٨٧
٢- آل علي.. النسب ١٠٢
٣- آل علي.. الموطن وأبناء العمومة ١١٠

الفصل الرابع: آل علي.. الإمارة والعائلة ١٢١
١- إمارة آل علي.. النشأة.. ١٢٥
٢- آل علي في الخنقة... ١٣١
٣- آل علي في مغيضة ١٤٣
٤- حاضرة آل علي ١٦٠
٥- بادية آل علي.. ١٦٩
حقائق ونقاط عامة وملاحظات.. ١٧٥

الفصل الخامس: علاقة إمارة آل علي بالدولة السعودية الأولى والثانية
ودعوة الإصلاح في نجد ١٨٥
١- الدولة السعودية الأولى ١٨٨
٢- لقاء الخير وبيعته بين الأمير والشيخ ١٩٥
٣- علاقة إمارة آل علي بالدولة السعودية الأولى ودعوة الإصلاح في نجد .. ٢٠٠
٤- علاقة إمارة آل علي بالدولة السعودية الثانية ٢١٨
قائمة المراجع ٢٢٨

الإهـداء

إلى من أولى البحوث التاريخية ودارة الملك عبدالعزيز

جانبا من اهتماماته العديدة

إلى حضرة صاحب الدارة وراعيها،

صاحب السمو الملكي

الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

أقدم هذا العمل المتواضع عسى أن يجد القبول والاستحسان لدى سموه الكريم، والله ولي ذلك والقادر عليه سبحانه وتعالى

المؤلف

اللواء الركن متقاعد

محمد بن مهنأ بن عبدالله المهنأ آل علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء خاص إلى:

المؤلف

اللواء الركن متقاعد

محمد بن مهنأ بن عبدالله المهنأ آل علي

شكر وتقدير

أتقدم بادئ ذي بدء بجزيل الشكر وعظيم الامتنان ووافر العرفان لحضرة صاحب السمو الأمير/ سلطان بن محمد بن سعود الكبير على تفضله بتقديم كتابي هذا عن إمارة آل علي في منطقة حائل وعلاقتها بالدولة السعودية وحركة الإصلاح في نجد رغم مشاغله الكثيرة.

له مني جزيل الشكر ولسموه الكريم عظيم الامتنان. كما أن الشكر موصول لكل من ساهم معي في إخراج هذا المؤلف إلى حيث يجده القارئ، وفي مقدمتهم الأخ الفاضل سعادة الدكتور/صالح بن سعود آل علي - عضو مجلس الشورى - لهم جميعاً جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

سمو الأمير سلطان بن محمد بن سعود الكبير

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا رسول بعده، وآله وصحبه.

إن هذا الكيان الشامخ الذي نستظل اليوم بظله - المملكة العربية السعودية - هو امتداد رصين لماضي تليد من جهود الأباء والأجداد الذين بذلوا الأرواح والدماء رخيصة رغم الصعاب ليقوم هذا الكيان ويبقى، وذلك في الأدوار الثلاثة: الدولة السعودية الأولى والثانية ثم الثالثة حيث تواصلت خلالها الجهود واستمر العطاء للتأسيس ثم البناء والتطوير في المرحلة الثالثة من خلال جهود المؤسس رحمه الله ورجاله الأوفياء ومن بعده الأبناء البررة.

هذه الجهود المسجلة في صفحات التاريخ بالدم والعرق والجد والبذل والعطاء، هي جهود متظافرة للقيادة والأفراد والجماعات، إذ قل أن تجد وعلى امتداد هذا الوطن المعطاء عائلة أو قبيلة أو عشيرة أو منطقة لا مكان لها في هذا الجهد والتأسيس والبناء.

ومنطقة حائل العزيزة على قلوبنا وقبيلة شمر وأسرة آل علي ليست استثناء عن هذه القاعدة، وقد جعل اللواء الركن م/ محمد بن مهنأ آل علي من تاريخ هذه الأسرة وعلاقتها بالدولة السعودية عنواناً لمؤلفه

هذا (إمارة آل علي في منطقة حائل وعلاقتها بالدولة السعودية وحركة الإصلاح في نجد) الذي ألح عليّ كي أقدم له، حيث يأتي تقديمي هذا استجابة لرغبته.

بعد شكري للمؤلف على ثقته وإصراره على هذا التقديم، أدون له تقديمي في بضع نقاط هي على النحو التالي:

١- إبراز المؤلف للمنهج الذي قامت عليه الدولة السعودية وتسير عليه اليوم وهو المتمثل في : التقاء وتوافق واتفاق وانسجام أهل السياسة وأهل الفكر منذ أن تمت البيعة بين الإمام والشيخ رحم الله الجميع وإلى يومنا هذا، وهو المنهج الذي سارت عليه الدولة الإسلامية إلى أن سقطت دولة الخلافة العباسية حين انفصمت العرى بين أهل السياسة وأهل الفكر.

٢- تنويه المؤلف وإبرازه لعظم النفوذ الفكري للدولة السعودية الأولى وحركة الإصلاح التي انطلقت بعد البيعة بين الإمام والشيخ وامتداد هذا النفوذ وتغلغله في أنحاء الجزيرة العربية وما جاورها قبل أن يمتد إليها النفوذ العسكري وتصلها الفتوح، وقد دلل المؤلف على صحة قوله بوصول الفكر إلى إمارة آل علي ودخولها في كنف الدولة السعودية وحركة الإصلاح فكرياً قبل أن تدخل في كنفها السياسي والعسكري وأيد مقولته تلك بوصول الفتوح الإسلامية فكراً وعقيدة إلى مناطق في آسيا وأفريقيا لم تصلها الفتوح الإسلامية العسكرية.

٣- ونظراً لأن بعض من الحقب التاريخية التي تحدث عنها المؤلف في كتابة هذا تكاد تكون مظلمة ومجهولة المعالم حيث ينعدم التوثيق فيها وعنها كما ذكر في مواضع عديدة، فقد لجأ المؤلف إلى إعمال العقل والاستعانة بالمنطق للوصول إلى بعض الحقائق دون الإحاطة بها كما يقول. لا غرو في ذلك فهو أستاذ البحث العلمي في كلية عسكرية عريقة لبضع سنين وله مؤلفات قيّمة في هذا المجال.

وفي هذا الإطار فقد بذل جهداً ملحوظا في ذكر بعض الأسماء والتواريخ دون الإحاطة ودون الدقة حيث حاول تعداد بيوت وأسر العائلة (آل علي) ولم يحط بها ولم يقطع بهذا الاسم أو ذاك التاريخ تلافياً للحرج والزلل في حق هذه الأسرة أو تلك، ثم وعد باستمرار البحث لسد الثغرات وتدوين ما يثبت لديه من معلومات حين توثيقها حول هذا الاسم أو ذاك النسب، وهذا جهد ومسعى يشكر عليه المؤلف أتمنى له وللقارئ العزيز التوفيق والسداد.

سلطان بن محمد بن سعود الكبير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الهادي إلى سواء السبيل ، الذي خلق الإنسان من طين، وجعل سلالته من ماء مهين ، وميز بالفضل التقاة من خلقه على الجاحدين، فقال عز من قائل في محكم التنزيل:

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (السجدة : ٦ - ٨)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (المؤمنون١٢- ١٣) وقال أيضاً: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم : ٢٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات : ١٣).

أحمده وحده الجدير بالحمد سبحانه، وأصلي وأسلم على خير خلقه وإمام رسله وآله وصحبه .. وبعد :

فقد تميز العرب قبل الإسلام بعلم الأنساب والاهتمام بالنسب في مجتمعهم القبلي الصرف حيث لم تخالطهم الأجناس التي اختلطوا

بها وخالطتهم بعد ظهور الإسلام ، ودخول الأعاجم وغيرهم في دين الإسلام الخالد. وقد استمر ذلك الاهتمام بعد بعثة المصطفى ﷺ وكان على رأس من اشتهر بعلم الأنساب أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، إذ أصبح الاهتمام به ذو مكانة كبيرة منعاً لاختلاط الأنساب ونكاح المحارم وإحقاق الحق في الميراث أو وجوب النفقة أو ما شابه ذلك . ثم استمر الاهتمام في عهد الفاروق رضي الله عنه بعد أن أنشأ ونظم الدواوين في الدولة الإسلامية ومنها ديوان المال الذي يتولى القائمون عليه توزيع العطاءات للمسلمين وفق ترتيب الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى مثل عدنان أولى من قحطان لشرف النبوة فيها ، ومن عدنان تتقدم مضر على ربيعة للسبب نفسه ، ثم تقدمت قريش علي مضر وتقدم بنو هاشم على سائر قريش وهكذا .

ثم ران على فكر الأمة وقلوب العرب والمسلمين ما ران إبان حقب الجهل التي أسميتها في مؤلف سابق بفترة الركود الفكري وهي التي أعقبت سقوط الدولة العباسية وانتشار الجهل وتشتت الأمة وتمزق جسد الدولة وانشغال الفرد والجماعة بلقمة العيش دون السعي للعلم والبحث عنه حيث أصبح نوعاً من الترف ، فأهملت العلوم وعلى رأسها وفي مقدمتها العلوم التجريبية التي تلقفتها أوروبا وحققت بموجبها نهضتها وتطورها المعاصرين . وعليه فقد فقدت المأثورات وسرقت الروائع الفكرية والعلمية للأمة واستمر النزيف والسطو على مأثورات الأمة إلى أن أفاقت مع نهاية القرن الماضي (التاسع عشر) ومطلع

القرن المنصرم (العشرين) يقرع أجراس الإفاقة من السبات رجال مخلصون من أبناء هذه الأمة ـ الدولة السعودية ورجالاتها وحركة الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية وجهاد عمر المختار وسعيه للتحرير في ليبيا، وهكذا في مصر والمغرب العربي والشام وغيرها من الأمصار الإسلامية . رحم الله الجميع وبارك في جهودهم التي كانت أجراساً أفاق على أصواتها المسلمون وعادوا يبحثون عن الطريق ويتلمسون معالمه للعودة إلى العزة والسؤدد بإذنه تعالى .

لست ممن يهتمون بعلم الأنساب بتلك الدرجة التي تجعلني من رواده، ولست بمختص أو مهتم بالجغرافيا إلى تلك الدرجة التي تجعلني أسبر أغواره باحثاً ومزاحماً لرواده وكذلك التاريخ . ولكن هناك العديد من الحقائق التي تؤهلني لخوض هذا الغمار في جزئية منه وتدفعني للخروج عن منهجي الذي ألزمت نفسي به وأعددت بموجبه مؤلفاتي وبحوثي ومحاضراتي السابقة، من بين هذه الحقائق:

١ - **الحقيقة الأولى**: أنني أحد أبناء هذه العائلة وحديثي سوف يكون من داخل الكيان لا من خارجه (كيان العائلة) وقد استعنت بعدد من الأخوة من أبناء العائلة، وهذا سوف يمنحني قدرة ربما لم تتوفر للآخرين رغم عدم توفر المراجع والمصادر لي ولهم، لتعداد عوائل حاضرة آل علي مثل: العيسى والثامر والمهنأ، أو عوائل باديتهم مثل الحسين والفرحان، والفواز، ولبيان بعض من التفاصيل عن هذه العوائل وعلاقتها ببعضها البعض ودور هذه وتلك .

٢ - الحقيقة الثانية: هي أنني أحد أبناء المنطقة (حائل) إلى جانب الحقيقة السابقة مما يجعلني وفق منهج المثل السائد (أهل مكة أدرى بشعابها) أعرف من غيري حتى من أبناء المنطقة البعيدين عن منطقة ومساكن المعنيين بالدراسة (آل علي وأبناء عمومتهم من آل جعفر). يؤهلني للبحث طفولتي وموطنها ومواطن أبناء عمي وأقاربي وأبناء عمومتي على الضفة الغربية لوادي الأديرع (شعيب الديرع) حيث تمتد مواطن الجعفر من الزبارة مروراً بالرزين ومغيضة وحتى الخنقة في حدري البلاد حيث الموطن والأصل والجذور لأسرة آل علي وحيث توجد مزرعة جدي التي ولد فيها والدي رحمهم الله جميعاً وفي هذه المزرعة توجد رسوم وأطلال أول قصر إمارة ومسجد بناه آل علي قبل ما يقرب من أربعة قرون من الزمان قبل انتقال مركز إمارتهم إلى مغيضة.

٣ - الحقيقة الثالثة: أن ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كانت على وجه التقريب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وبداية الدولة السعودية الأولى بالإمام محمد بن سعود رحمه الله وكانت عام ١١٥٧هـ، والبداية التقريبية لإمارة آل علي في منطقة حائل هي على وجه التقريب نهاية القرن العاشر الهجري ومطلع الحادي عشر "أقول: على وجه التقريب دون القطع". ومع ذلك حين يتحدث أغلب المؤرخين عن العلاقة بين إمارة آل علي والدولة السعودية ودور هذه الإمارة في انتشار الدعوة الإصلاحية في حائل وشمال الجزيرة العربية تجدهم لا يتحدثون عن بداية تلك العلاقة، وإنما يقتصرون على

مراحلها المتقدمة حيث يحددها أغلبهم بالمرحلة التي تلت عام ١٢٠١ هـ حين دخل عبد المحسن بن علي ومن بعده ابنه محمد بن عبد المحسن في طاعة الإمام عبد العزيز بن محمد آل سعود ، في حين أن البعض يرى هذا الدخول جاء في أعقاب معركة العدوة عام ١٢٠٥ هـ وهزيمة مطلق الجرباء وابنه مسلط، ويجعل البعض ذلك التاريخ بداية لحكم آل علي في منطقة حائل... في حين أن هذه العلاقة ربما تعود إلى بداية الدولة السعودية الأولى وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أي إلى عهد فايز بن محمد بن عيسى بن محمد علي قرابة العام ١١٦٢ هـ ، وقد امتدت تلك العلاقة إلى نهاية سلطة آسرة آل علي عام ١٢٥١ هـ ، إلا أن ذلك لا يمكن توثيقه نظراً لعدم وجود مراجع للتوثيق.

حقائق تدفعني للحديث ـ قدر الجهد عن أسرتي آل علي ـ لإيضاح بعض الحقائق التي ستكون هي بدورها دون الكمال إذ أن القصور هو سمة الإنسان كما يقول القاسمي، وقد جعل الله لنا في كتابه منهجاً نسأله فيه الغفران والعفو عن القصور فقال عز من قائل ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ (البقرة : ٢٨٦) .

هذه الحقائق سيترتب عليها حقائق أخرى سوف أوردها بعد الحديث عن أسرة آل علي في الفصل الرابع بإذنه تعالى . إن في صدري سعة للنقد العلمي الهادف وفي منهجي متسع للتصويب إذا وقع الخطأ ، لا سيما أن الخطأ وارد وبشدة نظراً لعدم وجود المراجع لهذه الفترة .

لك مني أخي القارئ لهذا العمل المتواضع كل الشكر والامتنان إذا قمت بإرشادي إلى موضع خطأي والله وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل سبحانه منك العون ربي ..

المؤلف

الفصل الأول

حائل المدينة ... الجغرافية والخصائص والتسمية

١. منطقة حائل الإدارية .

٢. جغرافية المنطقة .

٣. الخصائص الجغرافية للمنطقة .

٤. الخصائص الطبوغرافية للمنطقة .

٥. حائل وما قيل في النشأة والتسمية .

الفصل الأول

حائل المدينة .. الجغرافية والخصائص والتسمية

قد يكون حديثنا في فصول هذا البحث والذي يأتي هذا الفصل بمثابة المدخل والتوطئة لها مرتبطاً جغرافيا بذلك الشريط الضيق غرب وادي (شعيب الأديرع حيث مساكن آل جعفر من عَبْده ، حيث أصل آل علي وموطنهم (موضوع البحث والدراسة) .. أي أننا لن نتجاوز حدود مدينة حائل وعلى الأخص منها ما بين أجا غرباً والسُمر شرقاً إلا فيما ندر .. ولكن هذا لا يمنع أن يشتمل هذا الفصل المدخل (التوطئة) على بعض من خصائص وجغرافية وتاريخ حائل المعروفة كمنطقة إدارية من مناطق المملكة العربية السعودية . ولكي يسهل الحديث وتسهل الإشارة إلى المواقع والمواضع من مدينة حائل تم إعداد المخطط رقم (١) على الصفحة التالية ليكون مرجعاً كلما احتجنا لذلك في هذا الفصل والفصول اللاحقة باستخدامه وفق مقتضى الحديث .

١- منطقة حائل الإدارية :

هي إحدى المناطق الإدارية في المملكة العربية السعودية والتي تشتمل على مدينة حائل والعديد من المدن والقرى والهجر التابعة إدارياً لمنطقة حائل وذلك من مدينة شَرَي شرقاً حيث تحدها منطقة القصيم الإدراية ومدينة الحائط والحليفة جنوباً حيث تحدها منطقة المدينة المنورة ومنطقة تبوك الإدارية من الغرب والشمال الغربي ، ومدينة جُبّه والقرى التابعة لها حيث تحدها منطقة الجوف الإدارية من الشمال ، ومدينة تُربَه ولِينْه حيث تحدها منطقة الحدود الشمالية من الشمال والشمال الشرقي . انظر الخريطة رقم (١) أقسام المملكة الإدارية .

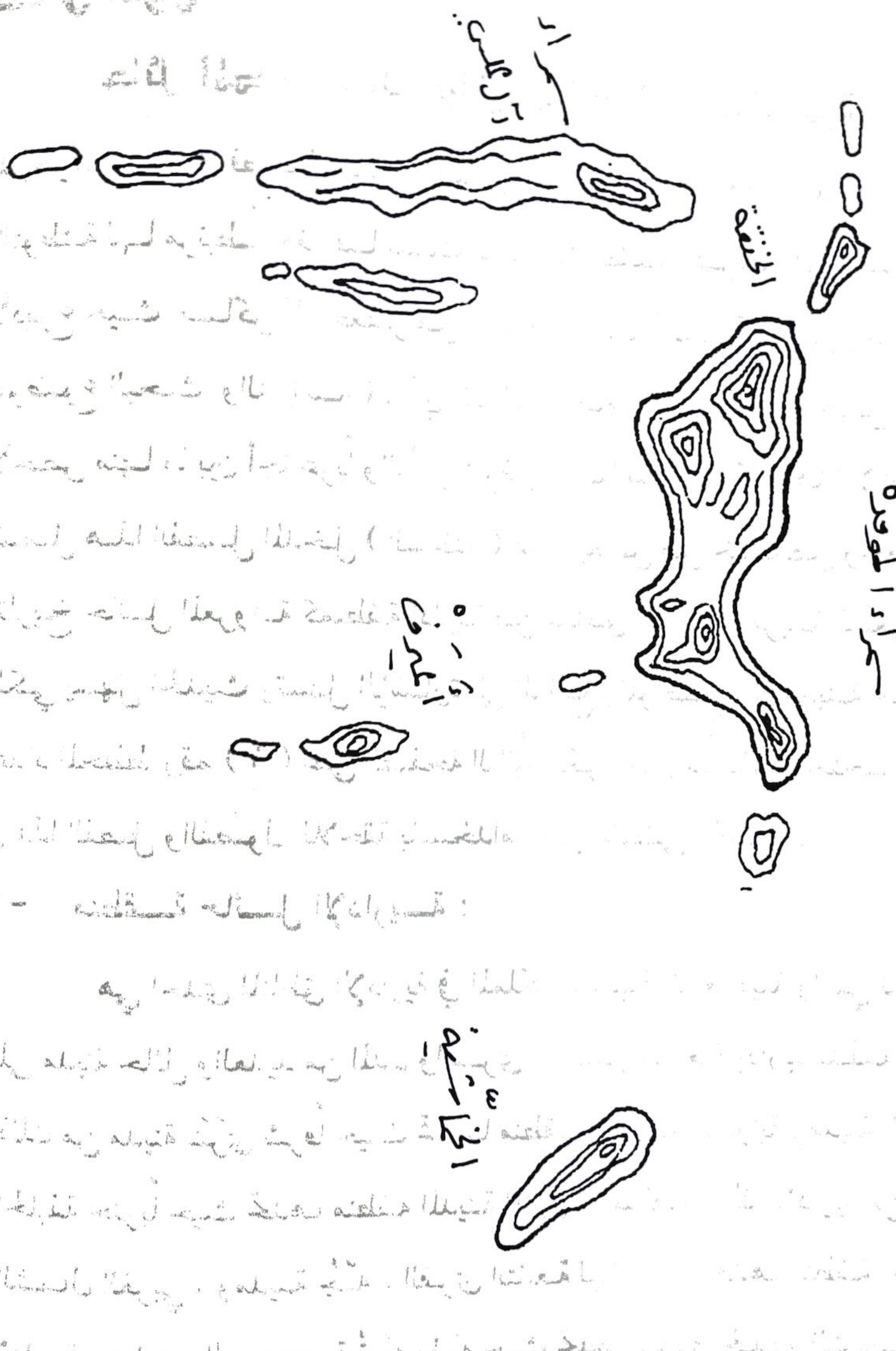

المخطط رقم (١)

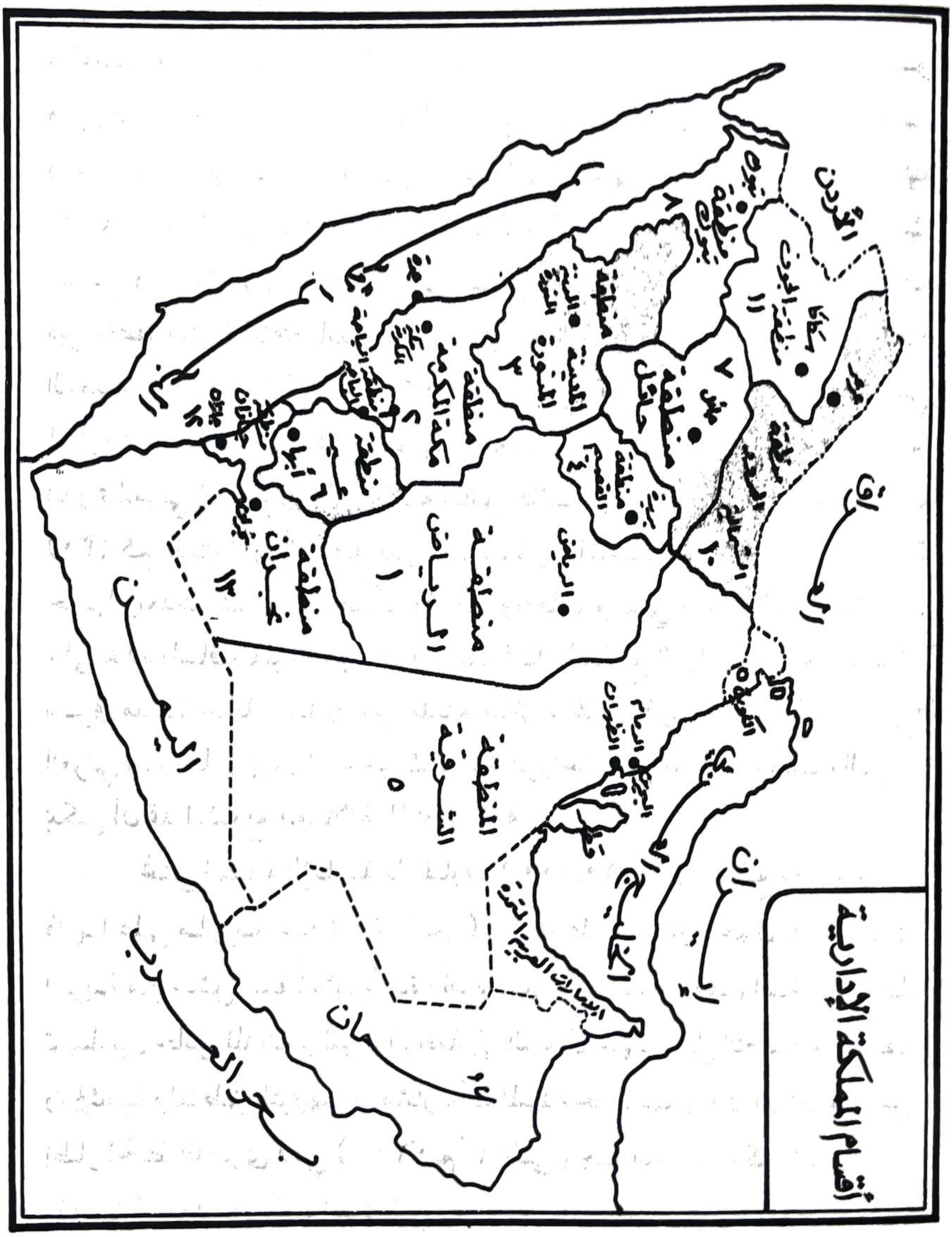

الخريطة رقم (١)

تشتمل منطقة حائل الإدارية على مدينة حائل حيث مقر إمارة المنطقة والعديد من المحافظات والمدن والقرى مثل جُبّه وبَقعاء والحائط ومُوقْق والروضة والغزالة والخُطّة والسَبعَان والشِنان والسِليمي والعُقَلة والحُفير وقِناء وأمّ القلبان وغيرها من المدن والقرى والهجر التي تزيد عن (٤٥٠) مدينة وقرية وهجرة ، ازداد عددها في سنوات التنمية التي تعيشها مملكتنا الغالية حيث التوسع والعمران وازدياد النشاط الزراعي بظهور قرى ومراكز لم تكن معروفة قبل خطط التنمية الاقتصادية الطموحة في المملكة العربية السعودية بدأ من خطة التنمية الاقتصادية الأولى (١٣٩٠ ـ ١٣٩٥هـ) وحتى اليوم حيث نعيش فعاليات الخطة السابعة. هذا النمو يكاد ينحصر في المناطق الزراعية خارج منطقة الدرع العربي الذي تقع عليه مدينة حائل ذاتها ويمتد شمالها قليلاً بما يقارب (٣٠) كم حيث تنتهي منطقة الدرع قرب قرية القَاعِدْ حيث المشاريع الزراعية حولها وبعدها شمالاً نحو الهُرَير والخُطّةَ وبَقعَاء، وتنتهي منطقة الدرع بما يزيد على هذه المسافة بقليل نحو الشرق حيث تمتد المشاريع الزراعية شرق وشمال شرق مدينة حائل. أما جنوب مدينة حائل و غربها فهي من مناطق الدرع العربي ولم تتطور بها زراعة حيث تعتمد الزراعة على المياه السطحية التي لا يمكن أن تمد المشاريع العملاقة بالمياه اللازمة.

تحتل المنطقة الإدارية ما يقارب (١٢٠,٠٠٠ كم^{٢}) تقع مدينة حائل ذاتها على ما يزيد عن (٤٥٠ كم^{٢}) وذلك على اعتبار دخول تلك القرى القريبة من حائل سابقاً مثل عُقدة ونُقرة قَفَار والمخططات العمرانية التي تكاد تربط بين حائل المدينة والقرى الواقعة إلى الشمال منها مثل النصّية واللَقيطَة والجِثامية والمناطق الترفيهية في مِشَار. أما المدينة بحد ذاتها ودون أن نخرجها من إطار الخط الدائري فهي (٢٠٠كم^{٢}) على وجه التقريب كما ذكر الأخ الفاضل / سعد بن خلف العفنان في كتابه القيّم ((حائل وعبقرية المكان))[١] .

---

(١) سعد بن خلف العفنان : حائل وعبقرية المكان (حائل : مطابع المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ) ص ١٦٣ .

٢- جغرافيـــة المنطقـــة :

تقـع منطقـة حائـل في شمـال نجـد، يفصلهـا عـن المنطقـة الشماليـة مـن المملكـة النفـود الـذي يشكـل مـا يشبـه القـوس حـائلاً بيـن منطقـة حائـل والجـزء الشمـالي والشمـال الغربي والشمـال الشرقي مـن المملكـة . يتميـز هـذا الموقـع بالعديد من الخصائص الجغرافية، فهو إلى جانب اعتدال أجوائه ومناخه حيث تقع المنطقة شمال مدار السرطان كما سنرى، فإنه يشتمل على تشكيلة جغرافية وخليط عجيب من المعالم الجغرافيـة المتداخلـة مـع بعضهـا البعض لتميز بقدرة الحق سبحانه وتعالى هـذه المنطقـة في جغرافيتهـا وخصائصها الجغرافية التي تؤثر عادة على السكان في مناحٍ عديدة .

تشتمـل هـذه الجغرافيا على النفـود الذي يشكل ما يشبه القـوس ويعـزل حائـل ومنطقـة شمـال نجد بشكل عام عـن المنطقـة الشمالية من المملكـة . وتبعـد أقرب حافة جنوبية للنفود عن مدينة حائل بما يقرب مـن (٥٠) كـم نواحـي جبل طوال النفود وجبل القَاعدْ ، ويبدأ بالإلتفاف من خلف جبـال أجَـا بعـد قرية الحُفَير. وفي عمقه تقع مدينة جُبّة التي تبعـد عـن حافة النفـود بما يقرب من (٧٠) كم، وتستمر رمال النفود من الناحية الغربية لمدينة حائل لتحف جبال أجا التي تشكل حائلاً بين رمال النفود والسهل المنبسط الذي تقع عليه مدينـة حائـل . يغطي النفـود مساحة قدرها (٦٤،٦٣٠) كم^2 وتتكـون صحـراؤه مـن كثبان طولية ومستعرضة ونجمية وفق اتجاه الرياح، إذ تشكل الكثبـان الطوليـة بفعل الرياح ثنائية الإتجاه . أما الجزء الجنوبي الشرقي فكثبانـه علـى شكـل نجمـة حيث الرياح المتعددة الاتجاهات، أما في جنوب النفود حيث منطقة حائل فتسود الكثبان المستعرضة نتيجة اتجاه الرياح الأحادية الاتجاه[1] .

---

(١) د. : عبد الحفيظ محمد سعيد السقا : الجغرافيا الطبيعية للمملكة العربية السعودية (جده : الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ)، ص ١٤٧

ويحف منطقة حائل من الجنوب الغربي منطقة الحرّة - حرة اثنين - (حرّة هُتيم) الواقعة شمال شرق منطقة المدينة المنورة، وهي امتداد للجزء الشمالي من حرة خيبر التي تحد حرةُ إثنين من الشمال الغربي والغرب. أما في اِتجاه الشرق فهناك وفي أقصى شرق الدرع العربي حرة يطلق عليها البعض الهُتيمة شرق جبال سلمى مباشرة وهي امتداد لحرة إثنين السابق ذكرها، وهي من أصغر الحرات في المملكة العربية السعودية، وتظهر في الحرة الجدران المهدمة للفوهات البركانية بفعل عوامل التعرية مثل تلك المناطق التي تقع فيها قرى مثل طَابه والنعّي، ويبلغ أقصى اتساع لهذه الفوهات البركانية (١,٢٥ كم) أما العمق فهو قرابة (١١٠ م)[١].

وتتداخل حدود هذه الحرة مع جبال سلمى بشكل بديع إذ أن أجزاء من هذه الحرة تقع داخل جبال سلمى حيث تقع العديد من قرى جبال سلمى مثل طَابة والنعّي داخل بعض من هذه الفوهات.

وفيما بين النفود من الشمال والشمال الغربي، والحرة في الجنوب الغربي والشرق يقع ذلك السهل الذي يشتمل على منطقة حائل وتحده إلى جانب الهيئات الطبيعية آنفة الذكر منطقة تيماء من الغرب ومنطقة القصيم في الشرق والجنوب الشرقي لمنطقة حائل. وهو سهل فيه العديد من المناطق الجبلية والمرتفعات الوعرة، وفيه العديد من الأودية التي تنحدر من سلاسل الجبال تلك لتنساب في ثنايا هذا السهل المنحدر إلى الشرق لتغوص في ثنايا الرمال، وهي أودية تزدان حوافها بأشجار الطلح الكثيفة (أنظر الشكل رقم ١)، أما في الجبال فتزدان حوافها بأشجار النخيل الذي يحدثك حيث تنظر إليه عن قدم التاريخ حيث هجره زراعه وأهله وارتحلوا في هجرات العماليق إلى مصر وطي

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٣.

إلى العراق أو هجره أهله من شمر إلى حاضرة مدينة حائل أو الحواضر الأخرى في مملكتنا الغالية (أنظر الشكل رقم ٢) فوق هذا السهل وفي الجزء الشمالي الغربي منه يقع جبل أجا الذي امتدت إليه مدينة حائل والتصقت به في الاتجاه الغربي للمدينة وعلى امتداد سفوحه الشرقية ، وتحف كثبان النفود كما ذكرنا سفوحه الغربية . يمتد هذا الجبل البازلتي (أجا) من شمال غرب حائل حيث تغمر رمال النفود بعض من أجزائه الشمالية ناحية قناء وأم القلبان وجبة والحفير ، حتى يتجاوز مدينة حائل إلى الجهة الجنوبية الغربية من المدينة ناحية موقق والصهوة ولمسافة تصل إلى (١٠٠) كم . في حين يتراوح عمق هذه السلسلة فيما بين (١٢ ـ ٣٧) كم ، حيث أقصى عرض لها في الأجزاء الوسطى والشمالية حوالي (٣٧) كم ، في حين تضيق في الجزء الجنوبي إلى حوالي (١٢) كم . وتتضمن هذه السلسلة العديد من المرتفعات مثل الرعيلة وغيرها والتي يصل أقصى ارتفاع لها (١٤٩٠) م[1] . يتخلل هذه السلسلة بعض الأودية التي تشكل ممرات صعبة المسالك مثل وادي (شعيب) جو الذي يتجه من أقصى الجنوب الغربي للسلسلة حتى ينتهي مجرى واديه بالنفود شمالا عند قرية الصبيحية ، وكذلك وادي (شعيب) توران الذي يسير في نفس الاتجاه موازيا لشعيب جو وينتهي إلى حيث ينتهي وعليه تقع قرية توارن حيث موطن وقبر حاتم الطائي . ويكاد يلتقي كل من شعيب جو وشعيب توارن المتجهة شمالا بالأودية المتجهة إلى الشرق حيث مدينة حائل مثل شعيب عقده وشعيب نقبين وشعيب مشار ، وفي مشار موقع ينسب بإسم حاتم (أبا عدي) إذ أن

(١) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

توارن وأبا عدي وعقده ونقبين قريبة من بعضها البعض من خلال تلك المسالك الجبلية الوعرة التي تفصلها عن بعضها البعض داخل سلسلة جبال أجا، وهي مسالك يصعب على الآليات المرور من خلالها في وضعها الطبيعي دون جهد بشري لوضع شبكة طرق سياحية فيما بينها لاستغلال جمال الطبيعة في هذه الأودية حيث غابات النخيل والقرّي (التين الجبلي)، أما مرور الأفراد بين هذه المسالك ومن خلالها فأمر ميسور ولكنه صعب ومحفوف بالمخاطر حيث لا تزال هناك بقايا من الوحوش في هذه السلسلة .

الشكل رقم (١)

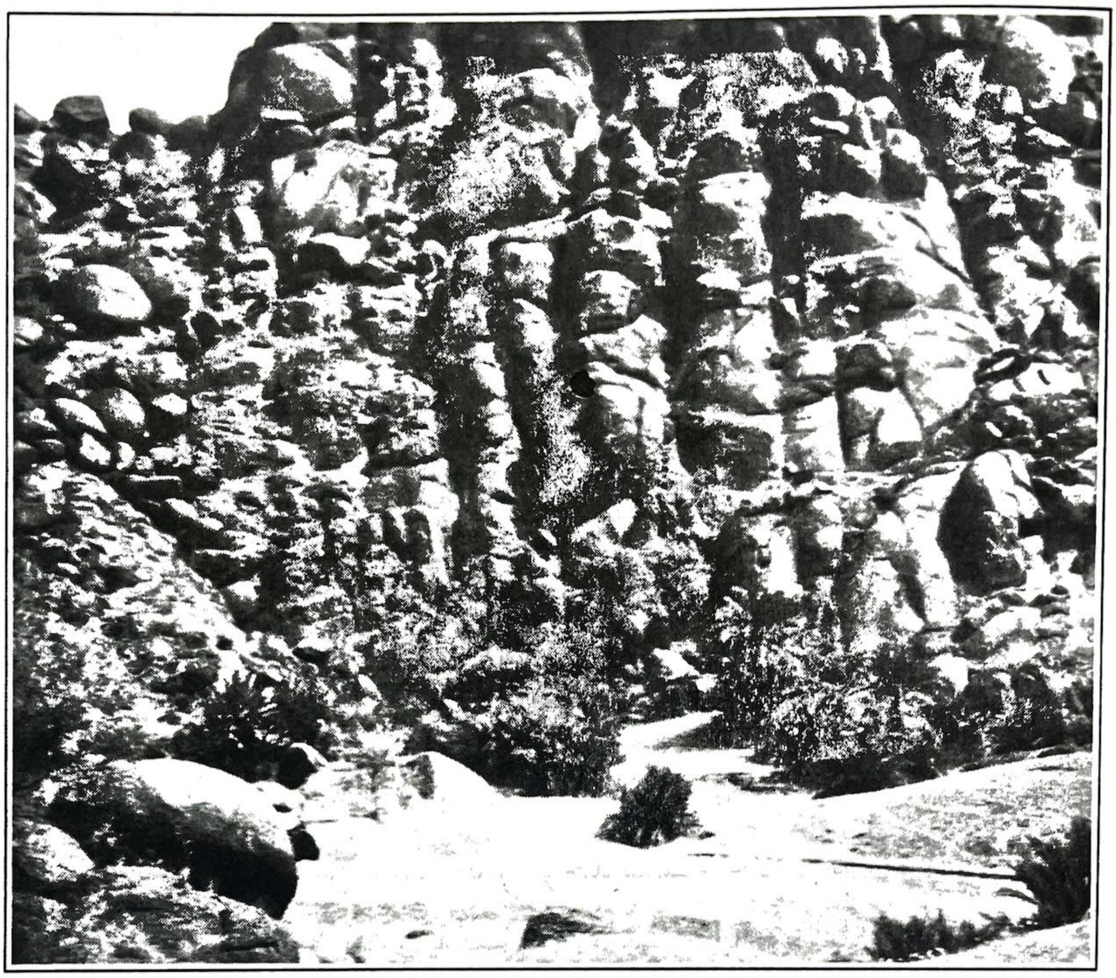

الشكل رقم (٢)

من سلسلة جبال أجا تنحدر الأرض شرقاً وشمالاً انحداراً شديداً نحو سلسلة جبال بركانية تحف مدينة حائل من الشمال (سمراء آل علي) ومن الشرق (سمراء المُوقّدة) ومن الجنوب الشرقي (الخُمّاشية)، ولشدة انحدار المنطقة باتجاه الشرق فإن ارتفاع جبل الموقدة في الشرق يوازي ارتفاع وادي عقدة في أقرب نقطة بجبل أجا من مدينة حائل . ثم تستمر هذه الجبال المتناثرة في شمال مدينة حائل حيث القاعد والطوال والسفن وغيرها ، وفي اتجاه الشرق حيث الحفاضيات وضبع والأحيمر السفلي أو الشرقي و ياطب وعكاش وصبحا وجلدية وغيرها من الجبال المتناثرة في ذلك السهل حتى تلتقي بسلسلة جبال

سلمى شرقاً . كما تستمر هذه الجبال المتناثرة في اتجاه الجنوب من مدينة حائل بعد الخماشية مثل الأحيمر العلوي أو الغربي والعقيلة وركان وبزاخة والنبط وغيرها من الجبال التي تمتد حتى تلتقي بسلسلة جبال رمان في الجنوب الشرقي من مدينة حائل والتي تكاد تلتقي بجبال سلمى في الجزء الجنوبي منها .

جبال سلمى وتقع إلى الشرق كما ذكرنا من مدينة حائل إذ تبعد في المتوسط (٦٠) كم من المدينة متداخلة معها كما ذكرنا حرة الهتيمة . وتمتد هذه السلسلة إلى ما يقارب (٦٠) كم من الشمال إلى الجنوب ، ويبلغ أقصى عرض لها (٢٠) كم في الجزء الشمالي وتضيق في الوسط إلى ما يقرب من (٧) كم ، ويبلغ أقصى إرتفاع لها (١٤٤٧ م)[١]. وينحدر منها العديد من الأودية شأنها شأن جبال أجا إلا أن أوديتها تتجه للشرق وللغرب بينما أودية جبال أجا تتجه شرقاً حيث يحول النفود غرب أجا دون انحدارها غرباً .

وإلى الجنوب من مدينة حائل توجد سلسلة جبال رُمّان والتي يفصلها عن المدينة نفس البعد الذي يفصل بين مدينة حائل وسلسلة جبال سلمى ، ويبلغ أقصى ارتفاع في هذه السلسة (١٣٥٦م)[٢] .

وحين ننظر إلى خريطة هذه الجبال وموقع مدينة حائل بينها والنفود يحفها ويلامسها من الجهة الشمالية ، نجد أن مدينة حائل تتوسط هذه المعالم التي تحيط بها وتكاد تجعلها منيعة من الناحية العسكرية التكتيكية إلا في بعض المناطق فيما بين هذه المعالم [انظر المخطط رقم (١) السابق والمخطط رقم (٢)]، وهذا ماجعل لموقعها أهمية من حيث وجود هذه المدينة في تلك المنطقة بالذات ، ومن حيث أهمية المدينة لرحلات القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها وخاصة مناطق الهلال الخصيب.

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

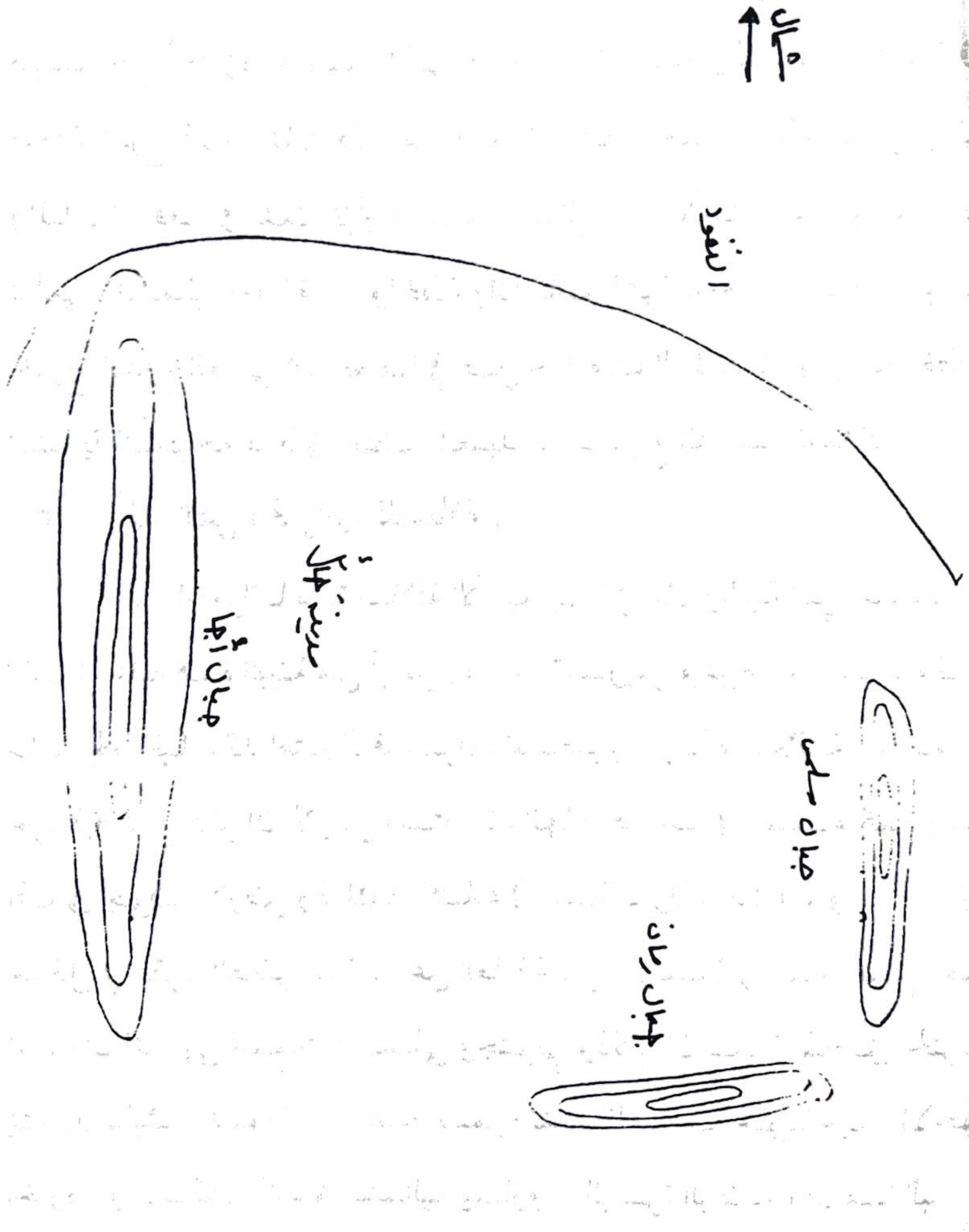

المخطط رقم (٢)

هـذه السلاسـل الجبلية والجبـال المتناثرة الأخرى تقع على صدع نجد الشمـالي وتعـد أكثر مناطق نجد إرتفاعاً حيث يزيد إرتفاع بعضها كما ذكرنا عن (١٤٠٠)م[1]. أما بقيـة المنطقـة الجغرافية لمنطقة حائل فـهي عبـارة عـن سهـل منبسـط تقع أجزاؤه الجنوبيـة والجنوبية الغربية والشمالية والشماليـة الغربيـة فوق منطقة الدرع العربي بما في ذلك مدينة حائل ذاتـها وجبال أجـا وسلمى والقرى والمـدن الواقعـة في تلك الإتجاهات من حائل، أما الأجزاء الشرقية بعد جبال سلمى والشمالية بعد القاعد والخطة والشمالية الشرقية بعد جلديـة والمّعبأ فهي خـارج الـدرع العربي ممـا جعلهـا في ظـل حكومتنـا الرشيـدة وفي إطـار خططها التنموية الطموحة مناطق تحتضن العديد من المشاريع الزراعية العملاقة .

٣- الخصائص الجغرافية للمنطقة :

تعـد الجغرافيا مادة العلاقة الأزليـة بيـن الإنسان والبيئة التي يعيشهـا وما تشتمـل عليه هـذه البيئة من أرض ومناخ وتضاريس وغيرهـا مـن مـواد وفـروع علـم الجغرافيا. وقد اهتـم الأقدمـون والمعـاصرون بهـذه العلاقـة ، منـهم ابـن خرداذبه الذي ذكر أن الأرض مستديرة وأنها موضوعـة في السمـاء كمـا توضـع المحا في جوف الأرض وذلك في كتـابه ((المسـالك والممـالك))، وتحـدث ابـن حوقـل في القرن العاشر الميلادي عن العلاقة بيـن الإنسـان والبيئـة وقسم العالم المعروف لديه إلى قسمين : شمـالي وجنـوبي وذكـر أن سكان المناطـق الجنوبيـة يمتازون بالبشرة السوداء وأن هـذه السمرة تشتد كلمـا اتجه جنوباً حيث الأجواء الحارة ، وأن سكان المناطق الشمالية يمتـازون بالبشـرة البيضـاء وأن هـذا البياض

(١) المرجع السابق، ص ١١٧ .

يزداد كلما اتجه شمالاً وذلك في كتابه المسمى أيضاً((المسالك والممالك))، وقد أسهب في شرح الفروق وتحدث بالتفصيل عن الثمار والفواكه والإنسان والعلاقة فيما يشبه الدراسة المقارنة في مفهومنا المعاصر[١]. وإلى جانب هؤلاء هناك العديد من الأعمال الجغرافية بأقسامها البشرية والبيئية وهناك العديد من الرواد من أمثال الإدريسي والخوارزمي وياقوت الحموي وإبن خلدون وغيرهم.

والعلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة حتمية كما يراها العديد من العلماء الأقدمين من أمثال ابن حوقل في كتابه آنف الذكر وهو أول عربي يهتم بمبدأ الحتمية، ومن بعده دعى بودان ومونتسكيو للحتمية إذ ربط بودان بين المناخ وطبائع الناس في كتابه ((الجمهورية)) [٢]. أما في العصر الحديث فقد تحدث العديد أيضاً عن مبدأ الحتمية مرددين المقولات القديمة بحتمية التأثير بين الإنسان والبيئة الجغرافية في دراسات عديدة تعد امتداداً لمقولات ابن حوقل وبودان ومونتسكيو، إذ تحدث همبولت ورتر عن الإرتباط بين العناصر الثلاثة: الهواء والماء والأرض وعلاقتها بالإنسان إذ إليهما ترجع أسس الجغرافيا الحديثة ... إلا أن نظرية الحتمية تلك لم تحظ بالتأييد المطلق حيث ظهر من ينقدها ويعنف في نقده لها ورده على القائلين بها من أمثال فردريك راتزل[٣].

---

(١) د. يسري الجوهري : أسس الجغرافيا البشرية (الإسكندرية : منشأ المعارف، ١٩٨٢م) ص ١٢ ـ ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢ ـ ١٥.

(٣) د. فتحي محمد أبو عيانة : دراسات في الجغرافيا البشرية (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م) ص ٣١.

إلى جانب هذا الجدل حديثاً وقديماً حول مبدأ الحتمية في علاقة الإنسان بالبيئة والمحيط الجغرافي الذي يعيش فيه، فإن هناك حتمية أخرى في تلك العلاقة بين التاريخ والجغرايا والإنسان، إذ أن للجغرافيا - كما أرى - أثراً بالغ في التاريخ الذي يصوغة ويحدد معالمه الإنسان الذي هو ابن البيئة. ورغم عدم قناعتي المطلقة بمبدأ الحتمية وعدم تأييدي المطلق لمن قال بها وأسهب في ربط سلوك الإنسان بالعوامل البيئية وجغرافيا المنطقة التي يعيش عليها وينتمي إليها، إلا أني أوردت ذلك وجعلته مقدمة لحديثي عن الخصائص الجغرافية لمنطقة حائل وأثرها على السكان.

لم أجد فيما وقع عليه نظري من وصف مدينة حائل ما هو أشد حباً وعشقاً وأصدق تعبيراً عن الانتماء، وإصراراً على التميز والتمسك والعناد في الرأي والدفاع عنه في عشق حائل والولع بها مثل ما هي عليه كتابات الأخ الفاضل سعد بن خلف العفنان، ولا غريب في ذلك فهو ابن المنطقة ولا بد للأوطان من أبناء أوفياء، ولا أخال أباً مفيد إلا واحداً من هؤلاء الأوفياء لمدينتهم ولمملكتهم الحبيبة. ولعل شدة حبه لحائل يجعله دائماً ما يستشهد بأقوال من رأوا حائل وأعجبوا بها وتحدثوا عنها في كتاباتهم ومذكراتهم، إذ كثيراً ما نجد الأخ سعد يورد مقتطفات من كتاب الرحالة البريطانية الإنجليزية ((الليدي آن بلنت)) في كتابها الذي تهيم فيه عشقاً بحائل ((رحلة إلى بلاد نجد))، وقد ذكرها الأستاذ / عبد الله بن خميس في قصيدته التي ألقاها على مسامع الملك فيصل يرحمه الله حينما زار حائل. كما استشهد الأخ سعد بقصيدة الأستاذ / عبد الله بن خميس وجعلها ضمن كلمة تصدير من الأستاذ / ابن خميس

لكتابه ((حائل وعبقرية المكان))، وجعلها كذلك مزينة للخلاف الخارجي لهذا الكتاب إمعانا في حب حائل وإعجابا بإعجاب الأستاذ / عبد الله بن خميس بحائل، وفي هذه القصيدة المعبرة عن الإعجاب بحائل والمعطوف بدوره على إعجاب الليدي آن بلنت يقول الأستاذ / ابن خميس[1] :

من رحيق الزهر ما يجلو حلاها ... والشذا تفتر عنه شفتاها
وخفيف الروح في أنسامه ... وهديل الطير يستوحي لغاها
بكرت في بشرها مزدانة ... يتسامى في رؤاها جبلاها
أجا رمان سلمى والحمى ... والهضاب السمر تهتز ذراها
قمم أبدعها خالقها ... وأصيل الشعر للدنيا رواها
قالت (الليدي) وكم ذا شدهت ... عن ربى أندلس هذي رباها
البطاح الحمر قد طرزها ... ما يضاهي جانب العقد حصاها
وبها أفناؤها من طئ ... سنة الأسلاف تستهوى مناها
كيف صيغ القول لا يسعفها ... فاستعارت لغة الأيدي شفاها
عبري أنسامها من حبها ... وتحدث يا شذاها عن ولاها

وإلى جانب شعر الأستاذ / عبد الله بن خميس وأقوال الليدي آن بلنت وزوجها ويلفرد سكوين بلنت الذي ربما تغلب على زوجته الليدي التي تقول عن صخور جبال أجا وسلمى أنها لاتشبه أية صخور أخرى عدا صخور جبال الألب فالتكوينات الصخرية هنا وهناك فريدة لا مثيل لها، تغلب

(١) سعد بن خلف العفنان : حائل وعبقرية المكان، مرجع سابق، ص ٧ .

عليها بقوله : (أن كل مكان هو مثل أي مكان آخر تماماً إلا جبل شمر فلا شئ يُشبهه على الأقل فيما شاهدت في هذا العالم) . إلى جانب هؤلاء فقد أورد أبو مفيد العديد من القول السديد مما ذكرته الدكتورة / وفاء فهمي السنديوني في كتابها ((شعر طئ وأخبارها في الجاهلية والإسلام)) من ذلك قولها[1] : (ولعل جمال الطبيعة في بلاد طيء كان عاملاً قوياً على الاستمرار في المكان والتمسك بتلك الأرض على الرغم مما عرف عن العربي من كثرة الترحال .. هذا فضلاً عن أنه قد أثرى ديوان القبيلة بشعر الطبيعة الذي يستوقف الباحث ليعده سمة موضوعية لشعر طيء ... ولعل الإحساس بالمتعة والعزة والغلبة قد جسدت حب جبال طيء في نفوس أبنائها .. ومن ذلك المنطق الوجداني انبعث الطائيون يسجلون مفاتن بلادهم ويرصدون مواضعها موضعاً موضعاً ... ويبدو أن حائل من أجمل بقاع الجزيرة العربية خصباً ونماء ذلك الذي جعل الشاعر الطائي أنيف بن زيان النبهاني في إحدى قصائد الحرب لديه يذكر حائل على أساس أنها موضع لقائه بأعدائه فيتوقف قليلاً ليذكر لنا اشجار حائل وقد تلاقت ولا يكون هذا إلا في أرض خصبة ...) . ثم تستمر الكاتبة بالحديث لتصل إلى القول : (ولعل ما في بلاد طئ من خصب ونماء جعل الشاعر الطائي يتغنى بهما وكأن ما يملكه الطائي هو تلك الثروة الجمالية المنبعثة من طبيعة متألقة متناسقة ..) . وهنا نقف إذ لا نستطيع أن نجاري أبا مفيد في حبه لحائل ولا أن نورد من الإستدلالات أكثر مما أورد ، فكتابه في مجمله عن مدينة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

حائل وقد اختار له عنواناً ينم عن العبقرية (حائل وعبقرية المكان) وهو ليس الكتاب الوحيد لأبي مفيد عن حائل وجمال حائل .

الذين تغنوا بجمال حائل وهاموا بحبها عديدون منهم من ذكرنا ومنهم من لم نذكر إذ إن ما ذكرناه هو للاستدلال لا للحصر وذلك على بعض من الخصائص الجغرافية لمنطقة حائل ، هذه الخصائص تركت بصماتها على أبناء المنطقة وجعلت لهم العديد من الصفات والخصائص المرتبطة بهذه المنطقة وجغرافيتها مثل الكرم الذي توارثته الأجيال منذ جيل حاتم وإلى يومنا هذا ، وحب الاجتماع والسمر في أودية وشعاب أجا وسلمى وإيثار ذلك في أغلب الأحوال على تحقيق المصالح المادية والعلمية . يقول أحد الزملاء وهو من غير أهل حائل : كنت أسمع وأرى ارتباط أبناء حائل المميز بديرتهم وشغفهم أكثر من غيرهم من بين الزملاء على قضاء إجازتهم في حائل وكنت أتندر بهم وبهذا الحب الزائد والظاهر لبلدهم ((حائل)) حتى سافرت ذات مرة عن طريق البر من مدينة الرياض إلى تبوك ومررت بالقرب من سفوح جبال أجا الشرقية وكان الوقت ظهيرة شتوية فأعجب أبنائي بالجبال والأودية التي تخرج بين الحين والآخر من جوف هذا الجبل وأشجار النخيل التي تبدو من هذه الأودية ، فنزلت عند رغبتهم ونزلنا أمتعتنا عند مخرج أحد هذه الأودية من الجبل وافترشنا بطحاء هذا الوادي الحمراء النقية - الزميل يتحدث من خلال وصفه عن وادي (شعيب) ضلضل مقابل قرية الحميراء - ومن شدة إعجاب أبنائي وزوجتي بالمنطقة التي فيها ذلك الوادي لم نتحرك لمواصلة المسير والسفر إلى تبوك إلا قرب غروب الشمس .. عندها - يقول ذلك الزميل - أدركت لماذا أهل

حائل وشبابها مرتبطين بها وبأوديتها و((بقيلاتهم)) إلى تلك الأودية و((بشباتهم)) التي تجعلهم يهملون كل شئ في سبيل الذهاب ((للقيلة)) أو ((للشبه)) . يقول الرحالة الفارسي عباس الموسوي الذي زار المنطقة عام (١٢٣١ هـ)[1] : (فأتينا جبل شمر، والكل منا لذيل الانشراح قد شمر، وهناك قرية تسمى بحائل، ضرب الأنس بينها وبين الهموم بحائل . ذات نخيل وأشجار وعيون وآبار وطيور وأزهار، وبساتين واسعة وثمار . وكأنها روضة من رياض الجنان. فيها من كل فاكهة زوجان . وأهلها عرب كرام، شمل كرمهم الخاص والعام. لا تلق فيها غير شجاع عظيم وجواد كريم ..) .

٤- **الخصائص الطبوغرافية للمنطقة :**

تحدثنا في الموضوع السابق ((جغرافيا المنطقة)) عن تلك الهيئات الطبوغرافية المحيطة بحائل حيث النفود في الشمال والشمال الغربي، وجبال أجا وأوديتها وصعوبة المسالك فيها في الغرب، وجبال سلمى كذلك في الشرق، وجبال رمان في الجنوب الشرقي ثم بقية الحديث كان عن تلك التلال المنتشرة في ذلك السهل الفسيح بين سلاسل الجبال الثلاثة (أجا وسلمى ورمان) وكان حديثنا عن حتمية التأثير والتأثر أو العلاقة بين الإنسان وبيئته بما يسودها من مناخ وما عليها من تضاريس وطقس . وحين تحدث الرحالة الإنجليزي ويلفرد سكوين بلنت واصفاً حائل بقوله آنف الذكر : (أن كل مكان هو مثل أي مكان آخر تماماً إلا جبل شمر فلا شئ يشبهه على الأقل فيما شاهدت في هذا العالم)، تحدث وهو يصف ويدون إعجابه بطبيعة وجغرافيا

(١) المرجع السابق، ص ٩٧ .

هذه المنطقة .. إلا أن حديثنا آنف الذكر ووصف الرحالة بلنت وزوجته يصب أيضا في قناة الخصائص الطبوغرافية للمنطقة إلى جانب كونه كما أوردنا سابقا يأتي في إطار الوصف الجغرافي للمنطقة إذ أن للجغرافيا أثرا عظيما على الطبوغرافيا . وقبل أن نسرد وصف المنطقة طبوغرافيا أرى لزاما أن أبين معنى الطبوغرافيا لمن ليس لديه إلمام بذلك . يعرف الطبوغرافيا بأنه العلم الذي يختص بدراسة الهيئات الطبيعية - الجبال والسهول والصحارى والسبخات وغيرها - وأثرها على العمليات العسكرية . أو هو علم يبحث في توقيع ورسم الهيئات الطبيعية والصناعية في مساحة الأرض على قطعة من القماش أو الورق برموز إصطلاحية ونسبة ثابتة هى مقياس الرسم . وينقسم هذا العلم إلى : قراءة الخرائط ، الرسم الميداني ، التصوير الجوي والملاحة الصحراوية .

على ضوء ذلك فإن تلك الهيئات آنفة الذكر (جبال - نفود - تلال - سهل) متداخلة وبشكل عجيب مع بعضها البعض كما ذكرنا ، لها أهميتها الطبوغرافية والتي تميز موقع منطقة حائل بشكل عام ومدينة حائل بشكل خاص ، وما قول الرحالة الإنجليزي آنف الذكر إلا ذو أهمية طبوغرافية وإن كان يعني به جمال المنطقة وجغرافيتها ، ذلك أن النفود يشكل جزءا كبيرا من منطقة حائل ويفصلها عن الجوف والحدود الشمالية وتبوك إذ أنه يحد مدينة حائل من الشمال والشمال الشرقي والشمال الغربي ، ويشكل عائقا كبيرا أمام الحملات العسكرية قديما وحديثا لعمقه إذ أنه يمتد حتى الجوف (أي لما يزيد عن ٢٠٠ كم) وإرتفاع كثبانه تزيد أحيانا عن (٢٠٠) م هذا كله إلى جانب ندرة المياه فيه عدا بعض الواحات بداخله مثل الحفير وقنا وأم القلبان وجبه ،

ولهذا كان أشبه ما يكون بالسد أمام الحملات العسكرية مما جعل منطقة نجد بمأمن من الحملات العسكرية التي قد تتقدم نحوها من هذا الإتجاه على الإطلاق . أما من الجهة الغربية والشمالية الغربية فإن النفود يشكل عائقاً كذلك، وهو ينتهي كما ذكرنا بجبال أجا غرب حائل حيث تلامس السفوح الغربية للجبال ((طعوس)) النفود، وهذا يضيف مانعاً إلى جانب العائق إذ أن جبال أجا بحد ذاتها تعد مانعاً طبيعياً يستحيل اجتيازه على الحملات العسكرية قديماً وحديثاً، إلا اللهم بعمليات تسلل فردية من خلال الأودية التي تحدثنا عنها مثل وادي جّو ووادي تَوْران ووادي مشار ووادي نَقبيَن ووادي عُقَده والتي تصل غربي أجا بشرقيها وجهتها الجنوبية بالشمالية من خلال تلك المسالك الوعرة حتى على الأفراد، ولهذا كانت مدينة حائل في مأمن من جهتها الغربية، ونظراً لإلتحام النفود بجبال أجا في الجزء الشمالي منها فإن مدينة حائل تصبح والحال هكذا حصينة من الجهات الشمالية والغربية والشمالية الغربية . ثم تأتي سلسلة جبال سلمى إلى الشرق من حائل وعلى ما يقرب من (٥٠) كم كما قلنا والتي تكون مانعاً يصعب اجتيازه إلا من خلال الإلتفاف حوله شمالاً أو جنوباً إذ إلى الشمال يكون هناك سهل منبسط لا يلبث أن يشتبك مع النفود من الجهة الشمالية الشرقية لمدينة حائل، أما إلى الجهة الجنوبية من جبال سلمى فهناك سهل منبسط لا يلبث هو الآخر أن يربط جبال سلمى بجبال رُمّان التي تكون كما قلنا إلى الجنوب والجنوب الشرقي من حائل . وفيما بين جبال رُمّان وجنوب جبال أجا هناك سهل منبسط في الاتجاه الجنوبي الغربي من مدينة حائل . هذه السهول كما سبق وأن أشرنا لا تخلو من

المرتفعات التي تجعلها سهلة المراقبة والدفاع كنقاط مراقبة ونقاط دفاعية عبر تلك السهول المنبسطة [أنظر المخطط رقم (٢)] الذي سبق الإشارة إليه .

وإذا ربطنا هذه الطبيعة الطبوغرافية للمنطقة بشكل عام وللمدينة - حائل - بشكل خاص بوفرة الماء والمراعي وغابات النخيل في جبال أجا و رُمّان و سلمى وواحات النفود المتناثرة أدركنا الأهمية التكتيكية وربما الإستراتيجية لهذه المدينة في الأزمنة الغابرة حيث كانت منطلقاً ومعبراً لهجرات القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى شمال الجزيرة ومنطقة الهلال الخصيب ومصر وشمال المغرب العربي . نستدل على ذلك من خلال العديد من الكتابات التي تناولت تلك الهجرات وجبال طيء في بحوث رصينة سابقة ، ومن ذلك ما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان عند ذكره لأجا وأسباب نزول طيء بها بعد رحيلهم من اليمن[1] : (وأما سبب نزول طيء الجبلين ، واختصاصهم بسكناهما دون غيرهم من العرب ، فقد اختلفت الرواية فيه . قال ابن الكلبي وجماعة سواه : لما تفرق بنو سبأ أيام سيل العرم سار جابر وحرملة أبناء أدد بن زيد بن الهميسع وتبعهما ابن أخيهما طيء واسمه جلهمة - وطيء عند ابن الكلبي هو : جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، ساروا نحو تهامة وكانوا فيما بينها وبين اليمن ، ثم وقع بين طيء وعمومته ملاحاة ففارقهم وسار نحو الحجاز بأهله وماله وتتبع مواقع القطر ، فسمي طيئاً بطيه المنازل ، وقيل أنه سمي طيئاً لغير ذلك ، أوْغَلَ طيء بأرض الحجاز ، وكان له بعير يشرد في كل سنة عن إبله ، ويغيب ثلاثة أشهر ، ثم

---

(١) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، الجزء الأول (بيروت : دار صادر) ص ٩٤.

يعود إليه وقد عَبُلَ وسَمُنْ وآثار الخضرة بادية في شدقيه، فقال لإبنه عمرو : تفقد يا بني هذا البعير فإذا شرد فأتبع أثره حتى تنظر إلى أين ينتهي. فلما كان أيام الربيع وشرد البعير تبعه على ناقة له فلم يزل يقتفي أثره حتى صار إلى جبل طيء، فأقام هنالك ونظر عمرو إلى بلاد واسعة كثيرة المياه والشجر والنخيل والريف، فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك فسار طيء بإبله وولده حتى نزل الجبلين فرآهما أرضاً لها شأن ...). وقد ذكر الأستاذ / حمد الجاسر رحمه الله في كتابه ((شمال المملكة العربية السعودية)) نقلا عن تاريخ ابن جرير قصة الطرماح بن عدي الطائي حين عرض على الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عندما خرج على يزيد بن أبي سفيان أن يسير معه إلى ((مناع)) وهي عنده جبال أجا التي استعصت على ملوك الغساسنة وحمير والنعمان بن المنذر ووفرت لطيء المكان المنيع وذلك بقوله[1] : إني والله لأنظر فما أرى معك أحد، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى يستبين لك ما أنت صانع فسر حتى أنزلك ((مناع)) جبلنا الذي يدعى أجا امتنعنا به والله من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذلّ قط فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجا وسلمى من طئ فو الله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طئ رجالاً وركباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم والله لا يوصل إليك ..). وفي نفس

---

(١) لواء م / عقيل بن ضيف الله القويعي : أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل (حائل : مطابع النهضة، الطبعة الثانية، ١٤١٨)، ص ٣١.

السياق حول منعة الجبلين وأهميتها في هجرات القبائل العربية إلى ما هو شمال الجزيرة العربية، نقل الأخ سعد العفنان عن الرحالة أوغست فالين وما دونه في كتابه ((صور من شمال جزيرة العرب)) [١] قوله : (وكل ما يذكره العرب الحاليون ويتمجدون به من شهامة أجدادهم وشجاعتهم وكرمهم وشعرهم وبطولتهم يرجع إلى قبائل أصلها من منطقة الجبلين، أو أنها أقامت فيها حقبة من تاريخها، بينما نجد أن القبائل التي نزحت من أماكن أخرى ولم تمر في مسيرها بمنطقة الجبلين قد طمس ذكرها بعد مدة، أو قلّ أن بلغت نفوذاً وسطوة في حين نجد أن بني طئ وتميم والذين أتوا جميعاً من هذه المنطقة، ما زالت لهم في ديار الغربة سلطة وشأن خطير حتى يومنا هذا ... وباستطاعتنا إعتبار وسط الجزيرة ينبوع المهاجرين الذين عموا شطر ما بين النهرين وسورية ومصر وشمالي أفريقيا، فسكان هذه البلدان معرضون بسبب طبيعة أرضهم وغناها إلى الانحطاط أو الاستعباد يفرضه عليهم طغاة غرباء، فهم في حاجة من وقت لاخر إلى تنشيط يأتيهم من وفود جماعات من البادية ذات عقول لامعة وحرة، ولهذا أحسب نجداً وبلاد الجبلين خاصة عظيمة الأهمية في تاريخ هذه الرقعة من العالم ...) .

ذلك بعض مما دون حول أهمية منطقة الجبلين (حائل)، وهذه الأهمية لم تكن تتوفر لو لم يتوفر المكان الحصين بالهيئات الطبيعية التي تحيط به كما رأينا من خلال المخططات السابقة كإحاطة السوار بالمعصم، وكذلك التلال العديدة ذات الأهمية التكتيكية من حيث توفير القدرة الدفاعية عن

---

(١) سعد خلف العفنان : حائل وعبقرية المكان، مرجع سابق، ص ٩٢ .

السهول المفتوحة بين سلاسل الجبال الثلاثة التي تحيط بحائل والتي اشتهرت بإسمها كما سنرى: جبال طيء، جبال شمر، الجبلين ... إلخ. هذا إلى جانب وفرة الموارد الطبيعية وأشجار النخيل في أودية الجبال وينابيع المياه والمراعي الخصبة.. تلك العوامل مجتمعة ما جعل لمنطقة حائل أهمية جغرافية وطبوغرافية، تكتيكية وإستراتيجية قديماً يميزها كمنطلق للهجرات العربية نحو الهلال الخصيب وشمال أفريقيا.

٥- حائل وما قيل في النشأة والتسمية:

الأسماء لا تعلل، كما أنها يجب أن تنطق كما ينطقها أهلها وأن تكتب أيضاً كما تنطق. ورغم ذلك فكل ممن كتب عن حائل بحثاً أو دراسة أو مقالاً لم يبدأ مقالته أو دراسته إلا بمحاولة للتعليل ولماذا هي حائل؟ ومن أسماها؟ وما معنى التسمية؟ وما سر التسمية؟ ... كل ذلك فيما لم نره من جدل حول أية مدينة أخرى.. كل ذلك والجميع يردد أن الأسماء لا تعلل، وإلا لمضى بنا الوقت وقطع الجدل دابر الموضوعية في بحوثنا ودراساتنا ونحن نحاول أن نعلل لماذا الرياض؟ وما معنى بريدة؟ وما معنى التسمية بعنيزة؟ ولماذا هي القاهرة؟ وما معنى جده؟ ... إلخ.

هذا كله إلى جانب أننا في حائل لا نقول ((حائل)) وإنما نقول ((حايل)) وهي (حالة لا تخرج عن المعنى وفق قواعد اللغة وفق ظني)، ولم يقتصر التعليل عند الباحثين على اسم حائل، وإنما هناك تعليلات ومحاولات لتأصيل تسمية أجا ولماذا هي أجا؟ وتسمية سلمى ولماذا هي سلمى؟

وسنطرح هنا بعض هذه التعليلات المختلفة كما أوردها الباحثون ثم أختم الحديث عن النشأة ..... نشأة ((حائل)) .

الثابت أن الأصل هو الموضع وأن الحدث هو المدينة - أي أن ذلك الموضع الواقع غرب الجبال السمر وشرق أجا هو الذي سمي في الأصل بحائل، أما المدينة (حائل) فقد سميت بإسم ذلك الموضع الذي قامت عليه بين الجبلين، ثم أطلق لفظ حائل (التسمية) على المنطقة ككل فأصبحت تلك المنطقة الواقعة بين القصيم والمدينة وتبوك والجوف تعرف بمنطقة حائل كما هو معروف ... وهذا أمر طبيعي فمنطقة القصيم تطلق على منطقة بأسرها والرياض كذلك وعسير أيضاً تطلق على منطقة واسعة بينما هي في الأصل مساكن قبيلة من قبائل منطقة عسير العديدة .

لفظ حائل ورد منذ القدم : ذكره البكري بأنه موضع بجبلي طيء (أجا وسلمى) وذكره الحموي نقلاً عن الكلبي بأنه : واد في جبلي طيء، وأورد أبيات أمرئ القيس :[1]

أبت أجا أن تسلم العام جارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقُرّية أمّناً وأسرّحها غباً بأكناف حائل
بنو ثعل جيرانها وحماتها وتمنع من رماة سعد ونائل

هذه الأبيات هي السند الذي يتكئ إليه كل من تحدث عن حائل وتلك القرية التي ورد ذكرها في الأبيات والتي تكاد أن تحصل على ما يشبه الإجماع على أنها ((السويفلة)) عند معظم الباحثين . إذ يرون أن السويفلة التي تواتر

(١) شهاب الدين ياقوت الحموي : معجم البلدان، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ٢١٠

ذكرها في عديد من الروايات هي موطن حاتم الطائي ، وأن حائل قامت إلى الجنوب الشرقي من تلك القرية على الضفة الغربية للوادي حيث تقع السويفلة على الضفة الشرقية ، وأن البداية لحائل هي الخَنْقة حيث موطن آل علي من الجعفر هم والعديد من الأسر من بني عمومتهم .. وهذا رأي لا يدعمه أي أثر ثابت إلا ما قال به المستشرق الرحالة ((موزل)) الذي أخذ برأيه الأستاذ / حمد الجاسر . وقيل في التسمية ((حائل)) أنها تخص ذلك الوادي الذي ينساب من الجنوب الغربي لجبل أجا وينحدر بإتجاه الشمال الشرقي ثم الشمال الشرقي بعد أن يجتاز ما بين السمر ا(الخنقة) والمعروفة بوادي الأديرع ((شعيب الديرع)) إذ اعتاد البعض أن ينطقه ويكتبه ((الاديرع)) والصواب ((الديرع)) إذ أن الأسماء تكتب كما ينطقها أهلها دون اجتهاد فهي لا تعلل ، وأن هذا الوادي سمي بحائل لأنه يحول عند جريانه ((مسيله)) بين من يسكن شرقه وغربه .

وقيل في التسمية : إن حائل تعني لغة التحول بمعنى تحول الشيء أي تغير لونه ، والمنطقة يتغير لونها وحالها عند نزول المطر فتصبح مخضرة ونباتها مزهر . وقيل أيضاً : أن التسمية مرتبطة بوجود ((حائل)) بين وسط الجزيرة وأرض العراق ، أو لأنها تحول بين وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام ... وقيل وقيل كما يقال في تعليل تسمية أي من مدن العرب وأوطانهم ، وما مرد ذلك إلا لأن لفظ حائل قابل للتعليل والتأويل لغة وإصطلاحاً من الحيلولة والتحول وهذا أمر جائز بطبيعة الحال عندما لا يكون هناك شئ بديهي ومعروف غير قابل للتأويل مثل التسمية ليثرب بالمدينة المنورة أو طيبة إذ لا مجال للتأويل فهي مدينة حيث أنها حاضرة كبيرة ذات مدنية وهي منورة بوجود المصطفى الأمين على رسالة السماء

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهي طيبة لوجود قبر خير خلقه وجسده الطيب في ثراها الطيب. وكمثال آخر تسمية الرياض بهذا الإسم لوجود العديد من الرياض في تلك المنطقة فهي منطقة رياض معروفة تشتهر أيام الأمطار ومواسم الربيع بالخضرة والنماء يقصدها الناس للرعي والرحلات حتى يومنا هذا وكل من سكن الرياض يعرف جيداً هذه الرياض ..

وإذا أردنا أن نفند هذه التعليلات آنفة الذكر للتسمية بحائل ولماذا هي حائل؟ فإننا نجد أن شبه الإجماع كما قلنا على أن القُرَّية التي وردت في شعر امرئ القيس هي السويفلة ليس هناك ما يدعمه من آثار لقبيلة طئ في السويفلة، وإنما الأغلب هو أن تلك القُرَّية التي ورد ذكرها هي موطن في جبل أجا مثل توارن التي فيها من الآثار ما يدعم ذلك، من هذه الآثار إحتمال وجود قبر حاتم الطائي في توارن كما أن أودية النخيل الكثيفة في أودية أجا مثل جو ونقبين وبلطة والكشرية وعقده وأبا عدي وغيرها من الأماكن والمواضع في أودية وشعاب أجا ربما تدعم وجهة نظري تلك. وإلى جانب ذلك فإننا أبناء حائل وخاصة منطقتنا التي تعرف « بحدري البلاد » نعرف تقسيماتها ونعرف أن السويفلة ليست إلا أنها أسفل حدري البلاد إذا تتسلسل حارات وأجزاء « حدري البلاد » على النحو التالي: المُسيَعيد، القُعيَساء، البَلّطي، الخَنَقَةْ، الرَبيعيّة والسَويفَلَةْ ولا مجال لعزلها عن حدري البلاد وجعلها قَريَةْ أو قُرّيَةْ. وإذا كانت تلك السويفلة هي المقصودة بالقُريّة فتكون « القُريّة السويفلة » فأين القُريّة العليا؟ إذ لا تكون على هذا النحو إلا إذا كان هناك ما يقابلها في التسمية. أما أولئك الذين اعتبروا أن القُريّة هي الخنقة فهؤلاء أقرب إلى الصواب إذا جعلوا من « حدري البلاد » كله

خنقة على إعتبار أن مضيق الوادي « مخنقة » بين السمراء الشرقية ـ الموقدة ـ والسمراء الشمالية ـ سمراء آل علي ـ هو ذلك الموضع الذي بدأت فيه القرية ثم أطلق عليه الخنقة لضيق مجرى الوادي وإختناقه، ثم أطلق عليه حائل في عصور لاحقة . من هؤلاء الأستاذ / سعد بن خلف العفنان في كتابه آنف الذكر « حائل وعبقرية المكان » .

أما أولئك الذين يرون أن التسمية « حائل » أتت من ذلك الوادي وأنه يحول بين الضفتين فكل الأودية تحول بين الضفتين إذا جرى الماء فيها بغزارة، وهناك أودية أكبر من شعيب الديرع ولم تسمى بحائل ... وادي بيشة مثلا ووادي الرمة وغيرها أما الذين يرون أن التسمية أتت من الحول والتحول من الاصفرار إلى الاخضرار بعد نزول المطر فأولئك يرد عليهم رب العالمين الذي يخبرنا أن كل أرض إذا نزل عليها الماء اهتزت وأنبتت من كل زوج بهيج وليست فقط منطقة الجبلين « حائل » ... الخلاصة هي أن نعود إلى القول أن الأسماء لا تعلل .

إلى جانب ذلك فإن المنطقة سميت بجبل طئ، والدلالة واضحة حيث تملكت طئ هذه المنطقة بعد هجرة العماليق منها ، وسميت بجبل شمر وهي كذلك مردها تملك شمر البطن من طئ لهذه المنطقة بعد هجرة وإقصاء بقية قبائل وبطون طئ. أما التسمية بالجبلين فهي معطوفة ومعروفة بوجود جبل أجا وجبل سلمى فهي منطقة الجبلين . وقد قيل أيضا وقيل في أسباب تسمية أجا وسلمى إذ تهيمن على المراجع التاريخية الرواية التي تقول بالعاشقين أجا وسلمى وتلك المرأة العوجاء بينهما .. ولا أدري إن كان هناك عوجاء بين أجا وسلمى كما تقول تلك المصادر التي نراها رصينة مثل معجم البلدان لياقوت الحموي أم لا ؟ أغلب ظني

أن لا عوجاء بين الجبلين وإنما هناك عوجاء واحدة هي في منطقة العارض، ولكن الحق أن فوق كل ذي علم عليم. أما متى عرفت حائل المدينة فذلك الذي تكاد تجمع المراجع على حداثته رغم تكرار ذكر حائل منذ القدم، فقد ذكرها امرؤ القيس في أبياته آنفة الذكر:

تبيت لبوني بالقرية أمنّاً وأسرحها غبّاً بأكناف حائل

وذكرها الشاعر أنيف بن زيان النبهاني الطائي في إحدى قصائده:

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقي طلحها وسيالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيئ كأسد الشرى إقدامها ونزالها

وذكرها الشاعر الجاهلي جابر بن حريش الطائي في إحدى قصائده بقوله:

ولقد أرانا ياسُمّي بحائل نرعى القِرى فكارمساً فالأصفرا

فالجزع بين ضباعه فرصافة فعوارض حو البسابس مقفرا

لا أرض أكثر منك بيض نعامة ومذانباً تندى وروضاً اخضرا

ومعيناً يحمي الصوار كأنه متخمط قطمٌ إذا ما بربرا

إذ لا يخاف حُدوُجَنَا قذف النوى قبل الفساد إقامة وتديرّا

من ذلك نجد أن اللفظ متداول منذ القدم ـ منذ أن استوطن الطائيون منطقة الجبلين. وتداول اللفظ أيضاً أتى مقترناً بلفظ « القرية » التي يرى البعض أنها السويفلة ويرى البعض أنها الخنقة، وأرى أنها أحد أودية أجا، تلك القرى العديدة فيها مثل توران وعقده وغيرها، أو أنها هي فعلاً الخنقة وقد تطور الموضع والمسمى وأصبح حائل كما هو معروف اليوم. أما أن تكون القرية هي السويفلة فذلك ما لا أستطيع أن أرجحه إذ أن السويفلة حارة أو جزء من أجزاء

وحارات حدري البلاد فالحارات تظهر إمتداداً لأي مدينة .. أي أن الخنقة هي الأصل ثم امتدت تلك البلدة (الخنقة) باتجاه الشمال الشرقي وظهرت السويفلة، وفي اتجاه الجنوب الغربي وظهرت مفيضة ولبده والرزين والزبارة ثم برزان وهكذا .

ورد ذكر المنطقة في أشعار الشريف وحروبه مع قبائل المنطقة بتسمية أخرى «ديار شمر» ولم يذكر حائل في تلك الموقعة التي كانت بينه وبين « السناعيس » « غربي بزاخة »، ولا أدري هل إن المنطقة لم تعرف بحائل بوضعها المعاصر، أم أن قافية الشعر العامي الذي ذكره هو الذي جعل الشريف يذكر المنطقة بتسمية أخرى رديفة « ديار شمر» . ورغم شكي وشك البعض في نسبه هذه القصيدة إلي الشريف، نورد هذه الأبيات فقط للتدليل على التسمية لبعض الأماكن رغم هذا الشك ورغم نسبة البعض هذه الأبيات للخيال والحكايات الشعبية . يقول الشريف في قصيدته المشار إليها في كتاب الدكتور / عبد الله الصالح العثيمين[1] :

وحصل لنا جولات بديار شمرا ... غربي بزاخة لاسقتها القواطر
وتهيأ لنا بالسنان باشناق موقق ... ما دبر المولى على العبد صاير
فاضوا وفضنا وطاح منا ومنهم ... بالمعركة والخيل مثل البيادر
معهم لفانا سربة زوبعية ... قب يصارع خيلهم كل نادر
وجانا من وادي السناعيس سربة ... كووا وانجضوا بحاميات المخاطر

---

(١) د. / عبد الله الصالح العثيمين : نشأة إمارة آل رشيد (الرياض : مطابع الشريف، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ) ص ٣٢ .

جونا الطنايا فوق جرد السبايا | حل الطراد وفاتح العج كادر
لاكن جضع الخيل بنحور خيلهم | هشيم طلح زفه السيل حادر
سنا عيس يا ما طوعوا من قبيلة | بإيمانهم دهم العروق السمادر
عز الله أني ما أنتويت لحربهم | مير الله قدر الأمر قادر
حلفت ما أجي دارهم عقب ما مضى | كود نتواجه عند رب المقادر
هذا كلام للشريف محمد | يذكر فعول ماضي له بيادر

وفي هذه الأبيات ورد ذكر : ديار شمر وموقق ووادي السناعيس من الأسماء المتداولة للمواضع ذاتها، فهل ذلك يعني أن موقق أكثر قدماً من حائل التي لم تذكر في هذه القصيدة ؟ لا أظن ذلك وإنما المتداول هي مترادفات لحائل : ديار شمر، الجبلين، جبل شمر وحائل مثلما نقول : المدينة المنورة، يثرب طيبة الطيبة وهكذا . أما تسمية البلدة « حائل » فقد وردت فيما ذكره الرحالة الفارسي «عباس الحسيني الموسوي » الذي زارها عام (١٢٣١ هـ) وذلك بقوله[1] : (فأتينا على جبل شمر، والكل منا لذيل الإنشراح قد شمر، وهناك قرية تسمى بحائل، ذات نخيل وأشجار وعيون وآبار وطيور وأزهار وبساتين واسعة وثمار، وكأنها روضة من رياض الجنان فيها من كل فاكهة زوجان، وأهلها عرب كرام شمل كرامهم الخاص والعام، لم تلق فيهم غير شجاع عظيم وجواد كريم ..) . ولكن هذا التاريخ (١٢٣١ هـ)، تاريخ حديث ومن المؤكد أن حائل عرفت بحائل قبل هذا الوقت على الأقل منذ أن قامت في نواة حائل (الخنقة) إمارة آل علي والتي لا تزال آثارها في مزارع المهنأ والعيسى والفايز من آل علي توحي

(١) سعد بن خلف العفنان : حائل وعبقرية المكان، مرجع سابق، ص ٩٧ .

بذلك وتدل عليه إذ أن الآثار والأشعار هي الشواهد والدلائل على التاريخ عندما لا يكون له سجل حافظ يحفظه . مما تقدم ندرك أن الأصل هو حارة الخنقة والتي يطلق عليها البعض خطأ وخلطا « السويفلة » ثم تمددت تلك النواة كما قلنا باتجاه الشمال الشرقي حيث « السويفلة »، وباتجاه الجنوب والغرب حيث لبده والرزين والقوعة، وهذا ربما يدعم وجهة النظر التي يراها البعض من أن « القرية » التي تواتر ذكرها هي الخنقة - نواة حائل .

روى لي العم « عايد بن مشهور آل علي » أن أصل حائل هي الخنقة وقد سكنها السناعيس، الضياغم - وهي عنده مترادفات لمن قدم من عبده إلى بلاد طئ من تثليث - بناء على أمر بهيج الذي كان شيخا من شيوخ طئ عند قدوم الجعفر - ويقصد بذلك عبده الذين كانت الشيخة فيهم لآل علي من الجعفر .

ثم أردف بقوله : أن التسمية بحائل أتت من حيلة بهيج وأمره لهم بسكنى مخنق الشعيب ليبعدهم عن أجا موطنه ومنازل قومه .

مما تقدم أيضا ندرك أن الجبلين، بلاد شمر، جبال طئ هي مترادفات للتسمية بحائل حتى إن لم تذكر أو تعرف بحائل إلا في عصور حديثة .

الفصل الثاني

حائل التاريخ ... القديم والمعاصر منه

١. حائل قبل هجرة طئ .

٢. حائل جبل طئ .

٣. حائل جبل شمر .

٤. حائل بعد القرن التاسع الهجري .

٥. حائل المعاصرة .

الفصل الثاني

حائل التاريخ .. القديم والمعاصر منه

حديثنا في هذا الفصل سيكون ملخصاً لتاريخ حائل - المنطقة والمدينة - دون الإحاطة بأية حقبة تاريخية من تلك الحقب، مرد ذلك تعدد الحقب وعظم ما بها من تاريخ .. حقبة ما قبل ارتحال طئ من جنوب الجزيرة العربية واستقرارها فيما بين الجبلين، وهي الحقبة التي يرى المؤرخون أنها حقبة العماليق فيما بين الجبلين. ثم حقبة الطائيين واستقرارهم في حائل - ما بين الجبلين . ثم حقبة ما بعد طئ والتي ربما تكون امتداداً لطئ وأقصد بذلك حقبة شمر . وتلك حقبة تقسم إلى حقبة إمارة آل علي ثم حقبة إمارة آل رشيد . وأخيراً دخول منطقة حائل في إطار الكيان الواحد الذي أرساه جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - وأنهى بذلك حقباً من التشرذم والتطاحن بين مناطق وقبائل الجزيرة العربية .

١- حائل .. قبل هجرة طئ :

حين ننظر إلى شبه الجزيرة العربية نجد أن هناك ما يشبه المنافذ من الجنوب إلى الشمال، رغم أن الأرض منبسطة وليس هناك ما يمنع العبور من أي جزء منها، ومنطقة حائل وخاصة فيما بين الجبلين من بين هذه المناطق الصالحة للعبور والانطلاق إلى ما يلي الجزيرة العربية من الشمال كالعراق والشام ثم مصر وشمال أفريقيا، إذ كانت منطقة استقرار ثم انطلاق إلى تلك المناطق كما هو حال العماليق الذين قدموا إلى المنطقة واستقروا بها ثم انطلقوا إلى مصر من خلال الهلال الخصيب ثم سيناء، وقد ورد ذكر العماليق في الجبلين فيما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان حين تحدث في مادة أجا عن قدوم طئ إلى ما بين الجبلين وما يليهما من مناطق .

الجزيرة هي مهد الحضارة منها انطلق العرب وقبائلهم العديدة في هجرات متوالية إلى منطقة الهلال الخصيب ووادي النيل وشمال أفريقيا، لما حل بالجزيرة العربية من قحط وجفاف. من بين تلك القبائل الأموريون والأراميون والكنعانيون ومنهم الفينيقيون والكلدانيون واليبوسيون، هذه الهجرات هي على وجه التقريب لثلاثة آلآف سنة قبل الميلاد وذلك فيما عرف بالهجرات السامية[١].

وفي "حائل وعبقرية المكان" نقلاً عن "حضارة وادي الرافدين" للدكتور/ أحمد سوسة أورد الأخ سعد العفنان قوله[٢] : (هناك شبه إجماع على أن المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب هي الوطن الأصلي للشعوب السامية التي نزحت من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها في أعقاب الدورة الجليدية الرابعة- بعد ذلك بآلاف السنين كما أشرنا آنفاً (٣٠٠٠) قبل الميلاد.

وقد توجهت هذه القبائل إلى شمال الجزية العربية ومن هناك توزعوا في الهلال الخصيب، وكونوا حضارتهم فيها وفي جملتها حضارة وادي الرافدين الشمالية أو الحضارة السامية الغربية، وهذه تتميز عن الحضارة السامية الشرقية أي الآكادية الجنوبية بلهجتها وأسماء العلم لديها ...)

ونقل أيضاً عن المستشرق الفنلندي "جورج أوغست فالين" وكتابه صور من شمال جزيرة العرب قوله[٣] : (إن السكان الحاليين - ويقصد بذلك أهل جُبّه- يذكرون بني تعمر وبني سعادة أو السعادة، وبني فرير أو الغرير، بأنها أقدم القبائل الرئيسية ولكنهم لا يعلمون أياً منها سبقت الأخرى ولا متى وصلت وكم أقامت).

---

(١) العقيد الركن / محمد بن مهنأ آل علي : صراعنا مع اليهودية بين الصلح المستحيل والمواجهة الحتمية، الجزء الأول (الرياض : دار أمية، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ) ص ٥٠ .

(٢) سعد العفنان : حائل وعبقرية المكان، مرجع سابق ص ٣٥ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨ .

وبالرغم من قلة إشارة الكتاب العرب إلى منطقة الجبلين وتضارب الآراء فيما نقلوه عنها وكون الأحاديث غير مرضية وغير كافية للكشف عن تاريخها القديم فإني محاول هنا أن أوجز الحقائق الرئيسية التي توصلت إليها ...إن بني تعمر الذين يعتبرون أقدم السكان في المنطقة وهم بدون شك ذلك الشعب الذي ذكره "ريتر" عن "بوركهاردت" باسم "تعمر"، وقال: إنهم قبيلة عظيمة في سوريا ونجد ويصح أن تنسب إليهم الآبار العميقة القديمة والأبنية القديمة الأخرى المنتشرة هنا وهناك في بلاد العرب الشمالية والوسطى وأول مرة سمعت باسم هذه القبيلة في جُبّه ... وأبناء جبة يعتقدون أن بلدتهم كانت ملك تعمر قديماً ويقولون: أنهم كانوا ينزلون في جبل أم سلمان غير أن أهل جبه وأهل جبل شمر لم يعتبروهم عمالقة مردة، أو أصحاب الآثار التي نجدها هنا .. إنهم هم العماليق، أو أنهم من نسلهم ...).

وبعد أن أورد الباحث هذه الأقوال عن فالين توصل إلى قناعة أن هؤلاء السكان من العماليق هم ذرية عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عيه السلام، وأن تسمية العموريين نسبة إلى عمرو بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح حسبما ورد في كتب التراث وأثبته في شجرة الأنبياء الأستاذ أحمد محمد سردار مدير المكتبات الوقفية الإسلامية في حلب. ثم أردف القول أن العماليق عندما هاجروا من الجزيرة العربية إلى منطقة حائل، كانوا إما مارين بها وهم في طريق هجرتهم إلى الشام ثم إلى مصر، وإما كانوا يسكنونها أصلاً ثم هاجروا منها بعد أن حل بها الجفاف، ثم رجح الرأي الأخير لأسباب بينها بقوله[1] :

أ. إننا لا نعرف منطقة غير حائل كانت وطناً أصلياً للعماليق انطلقت منها هجراتهم إلى الشام وسواها من المناطق الأخرى.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٨ ــ ٤١ .

ب. إن منطقة حائل ولاسيما الجزء الشمالي منها - قناء وأم القلبان وجبه - الذي تغطيه رمال النفوذ الآن كان من أصلح المناطق لظروف بداية تحضر الإنسان.

ج. إن في منطقة حائل آثاراً تعود إلى ما قبل هجرة العماليق من المنطقة بأزمان سحيقة قد يعود بعضها إلى العصر الحجري وإلى عصر الحياة النهرية عندما كانت المنطقة تتمتع بمناخ ممطر على مدار العام . فإلى من تعود هذه الآثار إذا لم يكن العماليق هم أصحابها ؟ .

د. ورد في بعض كتب التراث والروايات المتناقلة أن بقية من العماليق كانوا لا يزالون في المنطقة إلى الوقت الذي بدأت هجرة الطائيين إليها . وهذا الأمر أورده ياقوت الحموي في معجم البلدان بقوله[1] : (سار طئ بابله وولده حتى نزل الجبلين فرآهما أرضاً لها شأن، ورأى فيها شيخاً عظيماً، جسيماً، مديد القامة، على خلق العاديين ومعه امرأة على خلقه ويقال لها : سلمى، وهي امرأته وقد اقتسما الجبلين بينهما بنصفين، فأجا في أحد النصفين وسلمى في الآخر - لا أدري كيف يكونا زوجين ويقتسمان الأرض وليس لهما شريك وبين كل واحد منهما أكثر من (٦٠) كم ! ؟ - فسألهما طئ عن أمرهما فقال الشيخ : نحن من بقايا صحار غنينا بهذين الجبلين عصراً بعد عصر .... ويقال : إن لغة طئ هي لغة هذا الشيخ الصحاري وامرأته العجوز ... وهذا أمر طبيعي إذ أنهم يعودون في أصولهم إلى أمة واحدة هي أمة العرب - ... وقال أبو محمد الأعرابي اكتبنا أبو الندى قال : بينما طئ ذات يوم جالس مع ولده بالجبلين إذ أقبل رجل من بقايا جديس، ممتد القامة، عاري الجبلة، كاد يسد الأفق طولاً، ويفرعهم باعاً، وإذا هو الأسود بن غفار بن الصبور الجديسي، وكان قد نجا

---

(١) شهاب الدين ياقوت الحموي : معجم البلدان، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٩٧ .

من حسان تبع اليمامة ولحق بالجبلين، فقال لطئ : من أدخلكم بلادي وإرثي عن آبائي ؟ ..) .

خلاصة القول أن الأرض كانت عامرة بالإنسان قبل مجئ طئ وولده إليها وعمرانهم لها لقرون بعد ذلك، وذلك الإنسان ربما هم العماليق من بقايا جديس وربما غيرهم نذكره فقط لإثبات وجود الإنسان العربي في هذه الأرض. ثم هاجر العموريون إلى الشام وعمروها، وهاجر العماليق إلى مصر وأسقطوا الأسرة الفرعونية وحكموا مصر لقرون عديدة، وكان دخول يعقوب عليه السلام ومعه أسباط بني إسرائيل (أبناء يعقوب) إلى مصر في نفس الفترة ولهذا ارتبطت كراهية المصريين لليهود حيث قدموا إليها مع قدوم المحتل من العماليق. أما جديس فهي من القبائل والأمم العربية التي انقرضت " طسم وجديس وعاد وثمود وغيرها" والذين يمثلون العرب البائدة في حين تمثل القبائل القحطانية العرب العاربه، أما العدنانيون فهم العرب المستعربه أو التي عادت إلى غروبتها بعد هجرة دامت قرون في منطقة الهلال الخصيب ومصر[1]، وهم أولئك الأقوام التي هي من عقب إسماعيل عليه السلام .

٢- حائل جبل طئ :

مما تقدم ندرك أن مجئ طئ لم يكن إعمارا " استعمارا" للأرض فيما بين الجبلين، وإنما هو استيطان لأرض عمرتها أقوام هي من جديس أو من غيرها، ومن جديس جاء العموريين والعماليق، كما هو عند البعض من المؤرخين ثم قدم طئ وولده واستوطنوا الأرض، وقد ذكر ياقوت الحموي عند ذكره لقدوم طئ إلى الجبلين أنهم وجدوا النخيل ولم يكونوا على دراية بها وبثمارها وكانوا يأكلون الخنافس مع الثمر، " ورغم اعتقادي بالمبالغة في ذلك " إلا أنهم حقيقة

---

(١) انظر « صراعنا مع اليهودية بين الصلح المستحيل والمواجهة الحتمية » الجزء الأول، للمؤلف .

قدموا أرضاً مختلفة وبيئة مختلفة ومناخاً مختلفاً، فلابد أن تكون الأشجار وثمارها مختلفة والإنسان لديه القدرة من الخالق سبحانه وتعالى على التكيف ولديه العقل الذي يهتدي به إلى المسخرات من حوله ومنها تلك الأشجار "النخيل" وثمارها وكيفية تلقيح تلك الثمار دون اللجوء للجن لتلقيح النخيل كما جاء في معجم البلدان.

قدمت طئ من جنوب الجزيرة العربية "اليمن" واستوطنوا ما بين الجبلين أصبحت المنطقة تعرف منذ ذلك الوقت بجبل أو جبال طئ، ثم أصبحت جبل شمر رديفاً لها، ثم أصبحت حائل رديفاً ثالثاً لهذه المنطقة التي اشتهرت بالجبال وبنسبتها إلى الجبال تلك أو نسبة تلك الجبال إليها .. فمن هم طئ ؟ ومتى قدموا؟ ذلك ما سنسعى إلى تلخيصه في هذا المبحث ضمن هذا الفصل الذي خصص للبحث الملخص أيضاً في تاريخ حائل .

تنسب قبيلة طئ إلى طئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقيل: طئ بن أدد بن زيد بن الهُمَيسع، وقيل: طئ بن أدد بن زيد بن عريب بن يشجب بن عريب بن أدد بن كهلان بن سبأ، وقيل طئ بن أدد بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام . وطئ هو جلهمة بن أدد وسمى طئ لطيئه الأرض في تنقلة، وقال الكلبي: سمي طيئاً لأنه أول من طوى المناهل، إليه تنسب القبائل التي تشعبت وانتشرت فيما بين حرة المدينة وخيبر جنوباً وجزيرة الفرات شمالاً ودجلة شرقاً وفلسطين بل ومصر غرباً في حين بقي من بقي من طئ بأرض الحجاز، ومن سلالة من بقي شمران بالحجاز وبني الحارث (الحرث) في منطقة الطائف ويلاحظ تشابه المناطق التي استوطنها طئ: نجران، الطائف، حائل . وطئ هي إحدى القبائل القحطانية أما نسبتها إلى هود فذلك أمر لا سند له لأن العرب كما قلنا وكما قال من قبلنا : عرب بائدة وعرب عاربة وثالثة مستعربة، وقوم هود من البائدة إضافة إلى عاد وطسم وجديس

وغيرهم . أما العاربة فهم كل من أنحدر من قحطان (أبناء العرب)، أما المستعربة فهم كل من أنحدر من عدنان وانتسب لأبناء إسماعيل عليه السلام وسميت مستعربة لأنها عادت إلى عروبتها وليست لتعريبها كما يقول البعض إذ أن إبراهيم عليه السلام خرج أهله من الجزيرة وتغربوا ثم عاد أبنه إسماعيل ونسله واستعربوا (عادوا إلى عروبتهم) .

ولهجرة طئ ورحيلها من اليمن أسباب مختلفة عند المؤرخين، فمنهم من يربط هجرتهم تلك بالحروب والمشاحنات بينهم وبين القبائل الأخرى من بني عمومتهم في المنطقة ما بين نجران والجوف في اليمن، ومنهم من يربطها بسيل العرم وسقوط السد وهذا هو الأقرب لأن لذلك شواهد من القرآن الكريم وله من التاريخ أيضا أدلة وسند إذ أن القبائل العربية كلها خرجت من اليمن ولو كانت الخلافات هي السبب والحروب لما تمكنا من حصر الحروب والخلافات لكثرة القبائل التي هاجرت قبل الميلاد بآلاف ومئات السنين في حقب مختلفة ... ولكنه الجدب الذي نتج عن انكسار السد وتغير الأحوال المناخية وتحول جنوب الجزيرة بالتدريج إلى مناطق مجدبة تسببت ربما بخلافات ومشاحنات وحروب تسبّبت هي الأخرى مع الجدب بهذا النزوح وتلك الهجرات المتتالية للقبائل العربية . ولاستيطانها في منطقة الجبلين أيضاً أسباب مختلفة عند المؤرخين منهم - بل أغلبهم - من ربط بين هذا الاستيطان وقصة البعير التي أوردناها آنفاً ولكن التشابه في جغرافيا المنطقة التي ذكرنا بعضاً من جوانبها مع جغرافية المنطقة التي ارتحلوا عنها ربما يكون عاملاً مهماً جداً فالارتباط العضوي بين البيئة والإنسان كما ذكرنا في الفصل الأول له دوره الكبير في المسكن والاستيطان والحياة، وهذا ما نلمسه حين نكون في مناطق وبيئات مختلفة مثل أوروبا وأمريكا وحنيننا للصحراء بل وغرامنا بها وذهابنا في أمريكا مئات الكيلو مترات لمناطق صحراوية في رحلاتنا في عطل الأسبوع والإجازات ... وهذا شئ طبيعي، ولكن هذا

لا يمنع ما جاء في قصة بعير طئ فالماء والمراعي أشياء حيوية بل استراتيجية في حياة البادية ومعيشة أبناءها .

يتفرع من طئ العديد من البطون ذكرهم ابن الكلبي على النحو التالي[(١)] :

بنو فطرة بن طئ ، بنو الغوث بن طئ ، بنو عمرو بن غنم بن ثوب ، بنو لجيم بن غنم بن ثوب ، بنو حارثة ، بنو ود بن معن ، بنو بحتر بن عتود ، بنو عنين بن سلامان ، بنو جرول بن ثعل ، ، بنو ثعلبة بن عمرو بن العوث ، بنو شمجي بن جرم ، بنو نبهان بن عمرو ، بنو مالك بن سعد بن نبهان ، بنو بولان بن عمرو ، بنو مر بن عمرو . منهم من أستوطن الجبلين ومنهم من أقام دونها في هجرتهم من اليمن ومنهم من تجاوزها شمالاً إلى العراق والشام ، ولكن الانطلاق في مجمله من منطقة الجبلين التي أضحت مستقراً لطئ وولده بعد هجرته من اليمن . وقد ورد في كتاب ابن الكلبي العديد من الأسماء التي ربما تدل على أمور كثيرة مغايرة مثل : ضيغم وتميم وعبده .. هذه الأسماء ربما تنسف مقولة أن ضيغم قدم من تهامة وكذلك عبده وتنسف أن تميم و بقايا تميم اليوم في المنطقة هم من تميم القبيلة المعروفة وليسو من طي .. أمور كثيرة لا يمكن القطع بصحتها .

مما تقدم بنا من حديث في هذا الفصل والفصل السابق عن هجرة طئ من اليمن واستيطانه في تلك المناطق الواقعة فيما بين أجا وسلمى والتي أطلق عليها فيما بعد تسمية : جبل طئ بعد غلبة طئ لمن كان فيها من العماليق الذين هم من بقايا جديس والذين ارتحلوا عنها قبل قدوم طئ ولم يبق منهم إلا القليل مثل ذلك الجديسي الذي ورد ذكره في معجم البلدان . كل ذلك يعطي الدليل- ربما - على أن من استوطن في منطقة الجبلين من بني أسد لم يكونوا بالكثافة التي تجعل لهم الغلبة في النفوذ والهيمنة بل وحتى التسمية ، إذ لو كان هناك العدد

---

(١) عبد القادر فياض حرفوش : قبيلة طئ في الجاهلية والإسلام (دمشق : دار البشاير، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ) ص ٣٩ .

لكان النفوذ ثم أعطى هذا النفوذ لبني أسد الغلبة وهـذه تعطي بدورها التسمية للمنطقة .. أي لوجدنا في الأثر : جبل أسد أو جبال تميم أو ما شابه ذلك، جنباً إلى جنب مع : " جبل طئ وجبال شمر .. إلخ.

يقول الأخ سعد العفنان في مؤلفه آنف الذكر "حائل وعبقرية المكان" في هذا الصدد[1] : (لابد من إيضاح عدد من الأمور التاريخية التي تتعلق بمن هم سكان منطقة حائل، أو بالأصح منطقة الجبلين في العصور القديمة وكيف استوطن الطائيون هذه المنطقة، ونأخذ هذه الأمور على النحو التالي :

أولاً :

الروايات التي تقول أن سكان الجبلين قبل نزوح الطائيين إليهما هم بنو أسد، وأن طيئا جاور بني أسد بعد هجرتهم من اليمن ثم حاربوهم وتغلبوا عليهم واستولوا على المنطقة منهم . وهذا غير صحيح، فبنوا أسد كانوا يسكنون الجزء الجنوبي لما يعرف الآن بمنطقة حائل الإدارية، وكان ذلك قبل نزوح الطائيين من اليمن إلى هذه المنطقة، وكذلك استمر وجود الأسديين في مناطقهم التي كانوا فيها تقريباً منذ ذلك الوقت أما الجبلين ذاتهما، أي أجا وسلمى فلم يحل فيهما الأسديون لا قبل مجئ طئ إليهما ولا بعده . وحتى الأن فإن بقايا القبيلتين يحلون في نفس المواقع التي حل فيها أسلافهم الأقدمون .

ثانيا :

الروايات التي تقول أن منطقة الجبلين كانت خالية من السكان عندما حلها الطائيون، فهذه الروايات إذا كان يقصد بها أن المنطقة كانت خالية من السكان بالمرة، فهذا غير صحيح لأنه يناقض الروايات الأخرى التي تقول أن بني أسد أو سواهم كانوا يسكنون المنطقة قبل استيطان الطائيين لها. إضافة إلى أن مثل هذه

---

(1) سعد العفنان : حائل وعبقرية المكان، مرجع سابق، ص ٧٩ ــ ٨٢ .

الروايات لا تعقل لأن مثل هذه المنطقة لا يمكن أن تبقى دون سكان، كما أن الآثار الموجودة فيها والتي يعود كثير منها إلى فترات تاريخية قديمة جداً يؤكد أن المنطقة لم تكن بدون سكان .

أما إذا كان يقصد بهذا القول أن المنطقة كانت خالية من السكان ذوي المنعة والصولة الذين يستطيعون حمايتها من الآخرين فهذا هو ما أرجحه، لأن الصراع المرير الذي خاضته دولة تدمر مع الدولة الرومانية وكثافة الحشود التي واجه بها التدمريون دولة روما أدت إلى تفريغ شمال الجزيرة العربية من الرجال لمجابهة الجيوش الرومانية . وعندما انهزم التدمريون بعد أن توغلوا على مدى عشرين سنة في الولايات الرومانية لم يكن باستطاعتهم العودة إلى ديارهم فبقيت هذه الديار في حالة من الفراغ فدخلتها القبائل اليمانية المهاجرة من اليمن بعد انهيار سد مأرب، دون أن تجابه بأية مقاومة فاندمج الباقون من السكان القدماء مع تلك القبائل المهاجرة إليهم أو نزحوا إلى أماكن أخرى .

ثالثاً:

هناك رأي حديث مفاده أن الثموديين هم سكان المنطقة القدماء، وهذا الرأي مبني على أن الكتابات التي وجدت في الأماكن الأثرية في المنطقة كتبت بنفس الأبجدية التي استخدمها الثموديون، وهذا رأي قاصر ولا يصح أن يبنى عليه مثل هذا الإدعاء لأن الأبجديه التي كان يستخدمها الثموديون لم يكن استخدامها قاصراً على الثموديين فقط، بل إن شعوباً كثيرة في شمال الجزيرة العربية وجنوبها كانت تستخدم هذه الابجديه التي قيل أنها الأبجدية السبأية، ولا شك أن سكان منطقة الجبلين من العماليق كانوا يستخدمونها وكذلك الطائيين عند بدء استيطانهم للمنطقة قبل أن يشيع استخدام الأبجدية العربية التي نكتب بها الآن.

رابعا :

بالإضافة إلى الأمور آنفة الذكر فإنه توجد قضية هامة جدا ، وهي أن الآثار الموجودة في المنطقة لا تعود إلى فترة زمنية واحدة .. حتى تلك الآثار الموجودة في موقع واحد فإن منها ما يعود إلى أزمان بعيدة جدا ومنها ما يعود إلى عهود متوسطة كالعصر الإسلامي وبعضها قريب جدا .

إلي جانب ذلك نشاهد كتابات وأدوات أخرى هي من تراث العصور السابقة للإسلام ، وإلى جانبها حقائق أوردناها دون تصرف نقلا عن (حائل وعبقرية المكان) ، هذا إلى جانب أن بني تميم في قراهم التي عرفت بهم وعرفوا بها منذ القدم وليس بين هذه القرى (قفار ، الغزالة ، سميراء ، السبعان ، فيد وغيرها) ما يوجد في جبال أجا أو جبال سلمى ، وإنما هي قرى متناثرة في المنطقة التي تحف مدينة حائل باتجاه جبال رمان جنوب حائل ، وهذا ما قال به الأستاذ/ سعد العفنان .

بقي أن نشير إلى سيرة طئ في الجاهلية وبعد دخولها الإسلام وإبان حروب الردة وذلك بإيجاز شديد لننتقل للموضوع الذي يليه في تاريخ حائل .

طئ هي إحدى القبائل العربية التي عرفت الأوثان ، وكان لها كما لبقية القبائل العربية أوثان وأصنام مثل صنم الفلس لبني بولان من طئ قرب فيد ، وصنم رضى ، وصنم سهيل ، وصنم عائم ، وقد دمرها علي بن أبى طالب رضي الله عنه عندما قدم إلى جبل طئ وأخرج بالإسلام أهلها من الظلمات إلى النور حيث دخلت طئ في الإسلام وحسن إسلامها بعد غزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطئ وسبيه لهم. وقد كان من السبايا أخت عدي رضي الله عنه وعنها ثم إسلام قومها من بعد ذلك وكلنا يعرف من الأثر قصتها مع رسول الله ﷺ . ثم كان لطئ ورجالاتها دور في حروب الردة حين ارتدت قبائل العرب

وبقيت طئ على عهدها لرسول الله ﷺ وعلى دينها، يقول في ذلك عُدّي بن حاتم رضي الله عنه[(١)] :

ألا إن هــذا الديــن أصبــح أهلــه ... على مثل حـد السيف بعد محمـد
ولا ذاك عــن ذل ولا عــن مخافــة ... على الدين والدنيـا لإنجاز موعـد
ولكــن أصبنــا بالنّبــي فليلنــا ... طويـل كليـل الأرمـد المتلـدد
و إنــا وإن جاشــت فـزارة كلــها ... وذبيـان في مـوج مـن البحـر مزبـد
وأجـرى لهـم فيـها ذيـول غـروره ... طليحـة مأوى كـل عـاد وملحـد
نناورهم بالخيـل حتـى نقيمــهم ... بصـم العـوالي والصفيـح المـهند
وحتــى يقــروا بالنبــوة إنــها ... مـن الله حـق والكتـاب لأحمـد
وقــد سـرني منكـم معاشـر طـئ ... حمايـة هـذا الدين من كـل معتـد
وبيعــكم أموالــكم ونفوســكم ... رجاء الـذي يجزي بـه الله في غـد
وإعطاؤكم مـا كـان من صدقـاتكم ... بغيـر جهـاد مـن لسـان ولا يـد

بعد هـذا الخطاب الشعري من عُدّي لقومه تقدم زيد الخيل (الخير كما أسماه رسول الله ﷺ) وقال : يا معشر طئ اعلموا أنكم مثل الإكليل من مضر، وأقرب القوم إليكم أسد و غطفان، وقد كنتم شجعانهم في الجاهلية، وقد برئ الله منهم لرجوعهم عـن دين الإسلام ومنعهم الزكاة، وهـذا أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ وقد عزم أن يوجه إليهم خالد بن الوليد مع المـهاجرين والأنصار، فكونوا سيفه القاطع، ورمحه النافذ، وسهمه الصائب، فأجابته قبائل طئ إلى جميع ما أحبه فأنشد زيد يقول :

أمـام أمـا تخشـين بنـت أبـي نصـر ... فقـد قـام بالأمـر الجلّي أبـو بكـر
نَجـي رسـول الله في الغـار وحـده ... وصاحبه الصديق في معظـم الأمـر

(١) عبد القادر فياض حرفوش : قبيلة طئ في الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص ١٠٢ .

أمامة إن القوم عموا بفتنة تكون عليهم مثل راغية البكر
بنو أسد من بعد ذبيان ردهم طليحة من بعد الهداية للكفر
فقل لبني بدر إذا مالقيتهم متى كنتم الأذناب آل بني بدر
فإن تمنعوا حق الزكاة وتتركوا صلاة وفي هاتين قاصمة الظهر
فنحن لأجلاب الحوادث عرضة و ما مثلنا حي على العسر واليسر
نقاتلكم في الله حتى نقيمكم بصم العوالي و المهندة السمر

ثم جمع عدي وزيد إبل الصدقة وغيرها وقدموا على أبي بكر رضي الله عنه، ففزع أهل المدينة لكثرة ما رأوا من الإبل وظنوا أنهم عسكر ورد عليهم. ثم تقدم عدي بن حاتم حتى سلم على أبي بكر وقال: أيا خليفة رسول الله هل تعرفني ؟ قال: نعم أنت عدي بن حاتم الذي أسلمت إذ كفروا وأقبلت حين أدبروا وأوفيت إذ غدروا، وقد عرفتك وعرفت صاحبك زيد الخيل، ولو لم أعرفكما لكان الله يعرفكما. فقال عدي: يا خليفة رسول الله، إنا أطعنا رسول الله بطاعة الله، وأطعناك بطاعة رسول الله ﷺ، وهذه قبائل طئ وقد أتيناك ونحن خارجون إلى قتال أهل الردة إذا أنت عزمت على ذلك ولا قوة إلا بالله. فدعا لهما أبو بكر وأثنى عليهما ثناء حسناً، ثم تقدم الحارث بن مالك الطائي وأنشد يقول:

وفينا وفاء لم ير الناس مثله وسربلنا مجداً عدي بن حاتم
وقد كان زيد الخيل فيها ابن حرة عدواً لمن عادى وسلم المسالم
أفاء على الصديق أنعام طئ بصيران بالعليا وكسب المكارم
وإن لنا قول النصيحين بالتي تخيرها الركبان أهل المواسم
ألا إن هذا الدين لله طاعة فالقوا على من شاء كم بالجرائم
وما لكما بعد التميمي مالك وصاحبه قيس الظلوم ابن عاصم

ولا ما أتى البدري فيها وقومه عينية ذاك الرأي رأي الغشائم
تمادوا وكانوا في ظنون كثيرة متى تكشفوها تقرعوا سن نادم
فلما أتاهم خالد في جموعه تنادوا وعضوا عندها بالأباهم
وصاروا جميعا في اللقاء فكلهم أحاديث طسم أو كأضغاث حالم

أثنى عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه لبلائهم في حروب الردة بقوله[١] :

جزى الله عنا طيئا في ديارها بمعترك الأبطال خير جزاء
هموا أهل رايات السماحة والندى إذا مالصبا ألوت بكل خباء
هموا ضربوا قيسا على الدين بعدما أجابوا منادي ظلمة وعماء

وأثنى عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ صدقة طئ .

اشتهر منهم العديد بصفات عربية أصيلة كالجود والكرم والوفاء بالوعد والشجاعة ، وأشهرهم بذلك حاتم الطائي الذي ذاع صيته وعرف بصفات حميدة ، ويعرف بين الطائيين بحاتم بن عبد الله الثعلي ، ويعرف بينهم أيضا بالجواد[٢] .

٣- حائل .. جبل شمر :

ارتبطت تلك الجبال في وسط شمال الجزيرة العربية (أجا وسلمى ورمان) بطئ وعرفت بها منذ أن حلت بها واستوطنتها حين هاجر طئ من اليمن ، إذ أصبحت بعد ذلك تعرف بجبال طئ ، وذلك قبل الميلاد بقرون عديدة ، مواضع عديدة في جبال هذه المنطقة دونتها إشعارهم ومواقفهم ومعاركهم مثل : بلطة ، عقدة ، طابة ، بزاخة ، أجا ، سلمى ، رمان وهكذا . ثم

---

(١) سعد العفنان : حائل وعبقرية المكان، مرجع سابق، ص ١٧٥ .

(٢) عبد القادر فياض حرفوش : قبيلة طئ في الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص ٢٣٥ .

تعددت التسميات من بعد ذلك وبقرون عديدة حين أصبح الفرع أشهر من الأصل، وأقصد بذلك حين أصبحت قبيلة شمر أكثر شهرة في تلك المناطق من طئ التي هي الأصل منذ أن قدمت من اليمن. ولكن التسميات والأشعار التي وجدت في الأثر عن شعراء طئ توحي للمعاصرين أن هذا امتداد لذلك، وأن الفرع يعود للأصل، وأن شمر من طئ وامتداد لها وليست قادمة مستوطنة طاردة لطئ من موطنها. يقول امرؤ القيس:

أجاد قسيساً فالطهاء فمسطحاً وجّواً فروى نخل قيس بن شّمرا

ويقول امرؤ القيس أيضاً:

إذ ما غضبت أو تقلدت منصلي فلأيالكم في بطن بلطة مشرب

فإنكم والحق لو تدعونه كما انتحلت عرض السماوة أهيب

كسنبسنا المدلين في جو بلطة ألا بئس ما أدلوا به وتقربوا

في هذه الأبيات ورد ذكر قيس بن شمر، وورد ذكر بلطة وجو وسنبس وهي أسماء متداولة اليوم ومعروفة لدى أبناء المنطقة .. قيس بن شمر هو: قيس بن شمر بن عبد جذيمة بن زهير بن ثعلبة بن سلامان بن طئ[1] .. أي أن شمر بطن من طئ حملت الإسم ونسي النسب إلى طئ، كما حملت طئ الإسم ونسي النسب إلى قحطان، لنا عودة لذلك. أما بلطة فموضع عين ونخل في الجزء الجنوبي من أجا، ومنها يمتد وادي (شعيب) جو الذي يخترق جبال أجا من الجنوب حيث بلطة ويتجه إلى شمالها يوازيه من الغرب باتجاه الشمال أيضا وادي (شعيب) توارن حيث قرية توارن التي فيها قبري حاتم وزيد، ويحد هذه الأودية من الشرق أماكن وأودية نخيل مثل وادي (شعيب) مشار الذي تجتمع فيه أودية

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٥ .

كثيرة منها أبا عُدّي الذي يُخلّد ذكرى حاتم بن عبد الله (أبو عُدي)، ووادي (شعيب) عُقَدة الذي تجتمع به ايضاً العديد من الأودية والتي قيل فيها :

من عقدة إلى ما يزحزح قناها قبلك بهيج حدروه السناعيس

وعقده ذلك الموضع في وادي أجا ربما هو منسوب إلى (بني عُقدة) من طئ وهم بنو عمرو بن سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن طئ، وأمهم عقدة بنت معمر من بني بولان من طئ وسمو بنوا عقدة نسبة إلى أمهم(١).

وسنبس بطن من بطون طئ وهم السكان الأصليون لمنطقة أجا خاصة دون غيرهم ثم جاورتهم به عبدة من بعد قدومها. ورد اسم بُلطة وجُو في أشعار الشعراء من سنبس، وإليهم ينتسب حاتم الطائي الذي ينسب إليه موضع في أجا وقبره ومسكنه في أحد أودية أجا كما ذكر. وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن عبد شمس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول من بني عقدة من سنبس(٢) وإليه اليوم ينتسب الزميل وغيرهم من شمر فهم على مواطنهم في توارن وغيرها من أجا إلى يومنا هذا. مواطن الزميل في أجا اليوم هي مواطن حاتم بالأمس، وهم ورثته وأهل أجا إذ توفي سنة (٤٦) قبل الهجرة على وجه التقريب في عوارض جبل بلاد طئ كما جاء في معجم البلدان، والمقصود بذلك توارن على الأرجح.

مما تقدم نجد أن بني شمر الذين ذكرهم امرؤ القيس بقوله (نخل قيس بن شمرا) بطن من بطون طئ وسنبس الذين توارثوا تلال أجا وأوديتها ونخيلها هم بطن من بطون طئ، والمحصلة أنهم من ظهر رجل واحد (طئ) قدم إلى هذه الأرض وتكاثرت سلالته وأصبحت قبائل وبطون عديدة هاجر البعض منها

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ن ص ٦٩ .

للعراق والشام وأقام البعض في الجبلين وتغلب بعض من بقي على البعض الآخر وأصبحت لهم الهيمنة، مصداق ذلك قول شاعر منهم :

قبلك بهيج حدَرّوه السناعيس من عقدة اللي ما يزحزح قناها

والسناعيس هم عبده وبهيج من سنبس رحل وقومه وبقي منهم من بقي . أما أن عبده قدموا حديثاً من قحطان فهذا قول لا أرجحه إلا بذلك الشكل الذي أقره البعض من هجرة عبده من بلاد طئ إلى تثليث (بلاد قحطان) لضيم أصابها أو قحط ضرب البلاد، ثم عادت ثانية إلى موطنها في بلاد طئ . وهذا أمر طبيعي فهذا الفرع من ذلك الأصل وهذا الإبن من ذلك الأب، ولعل التفاوت في لغة الشعر يوحي لنا بالقرون العديدة التي تفصل هذا الزمن عن ذلك (زمن بهيج حين حدروه السناعيس، وزمن امرؤ القيس حيث تحدث عن نخل قيس بن شمرا) ولنا عودة لهذا الموضوع في الفصل القادم .

وقد ورد ذكر شمر ومواقع أخرى من أجا في شعر عامي سبق ذكره حين الحديث عن غزوة الشريف لبلاد شمر، ولغة هذا الشعر العامية توحي باختلاف الزمان كما ذكرنا في أبيات الشريف التي سبق أن ورد ذكرها : شّمر، مُوقَقْ، بَزْاخَة، السناعيس، زوبع، والطنايا، وهذه أيضاً أسماء متداولة اليوم، أسماء مرادفة لشمر (السناعيس، الطنايا) وزوبع بطن من شمر أما بلطه وبزاخه فهي مواضع من أجا .. وهنا أيضاً تداخل بين طئ وشمر، فالمواضع التي ورد ذكرها مرتبط بطئ ثم ورد ذكرها مرتبط بشمر والمترادفات المعروفة للتسمية بها، وهذا يعني الاشتقاق من طئ أو بعبارة أدق نستطيع القول أن شمر بطن من طئ أصبح له الإسم والمكان بعد هجرة بطون عديدة من طئ إلى الشام والعراق . أما أجا وسلمى ورمان وهي التي عرفت بجبل أو جبال طئ ثم تحولت بها التسمية إلى

جبل أو جبال شمر فقد ورد ذكرها في العديد من أشعار شعراء طئ في الجاهلية والإسلام نذكر منها[١] :

قول زيد بن مهلهل الطائي :

جلبت الخيل من أجا وسلمى تخب نزائعاً خبب الركاب

وقول عارق الطائي :

أيوعدني والرمل بيني وبينه تأمل رويداً ما أمامه من هند
ومن أجا حولي الرعان كأنها قنابل خيل من كميت ومن ورد

وقول العيزار بن الأخفش الطائي :

تحملن من سلمى فوجهن بالضحى إلى أجا يقطعن بيداً مهاوياً

وقول الحيص بيص :

أجا وسلمى أم بلاد الزاب وأبو المظفر أم غضنفر غاب

وورد في أشعارهم جمع أجا وسلمى في لفظ الجبلين وهي تسمية معروفة منذ أن حلت طئ بينها إلى يومنا هذا، يقول برج بن مسهر الطائي[٢] :

فنعم الحي كلب غير أنا رأينا في جوارهم هنات
ونعم الحي كلب غير أنا رزئنا من بنين ومن بنات
فإن الغدر قد أمسى وأضحى مقيماً بين خبت إلى المسات
تركنا قومنا من حرب عام ألا ياقوم للأمر الشتات
وأخرجنا الأيامى من حصون بها دار الإقامة والثبات
فإن نرجع إلى الجبلين يوماً نصالح قومنا حتى الممات

---

(١) المرجع السابق ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٠ .

ثم ورد ذكر أرض الجبلين (حائل) قديماً في أشعار طئ، وهو الاسم المعروف للبلدة عندما أصبحت حاضرة قبيلة شمر، وهو الاسم المعروف اليوم لمنطقة من مناطق مملكتنا الغالية وسواء كانوا يقصدون بذلك الوادي أم المنطقة بين الجبلين. المهم أن حائل المدينة قامت على هذا الموضع. يقول أنيف بن زيان الطائي(١)

جمعنا لكم من حي عوف ومال كتائب يردي المقرفين نكالها
لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوي وقد جاوزت حي جديس رعالها
وتحت نحور الخيل حرشف رجلة نتائج لغرات القلوب نبالها
أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم بنوا ناتق كانت كثيراً عيالها
فلما أبينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقي طلحها وسيالها

خلاصة القول ومما تقدم نصل إلى حقيقة أن شمر امتداد لطئ وأن ما عرف بجبل طئ هو ما يعرف بجبل شمر وهو ما عرف في عهد القبيلتين، أو القبيلة والبطن بالجبلين والتي لا يزال يعرف بها إلى يومنا هذا، وأن حائل اسم متداول للمنطقة سواء كانت تطلق على قرية استوطنها طئ مجرى شعيب الأديرع ثم استوطنتها شمر من بعدها أو أنها تسمية للمنطقة أو الوادي الأمر بالنسبة لي سيان إذ لا فرق في ذلك فالتسمية موجودة منذ ما قبل الميلاد وإلى يومنا هذا دون النظر أنها للقرية التي أصبحت مدينة فيما بعد أم هي للوادي ثم أخذته المدينة حين قامت على ضفافة وخاصة ضفته الغربية فيما يلي أجا من الشرق ولنا عودة حين نتحدث عن آل علي في الفصل التالي لهذا.

٤- حائل بعد القرن التاسع الهجري:

بين طئ وشمر في جبل طئ ثم جبل شمر من بعد ذلك، خيط متين يربط هذه بتلك، ويوجد الرباط التاريخي الذي يجعل تاريخ شمر في هذه المنطقة

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٣.

(الجبلين) امتداد لتاريخ طئ رغم ضآلة المتوفر والمتوارث من الروايات والتواريخ والشواهد عن تلك الفترة أو الحقبة التاريخية التي تفصل بين تشتت طئ إلى بطون وعوائل هنا وهناك في الجبل وفي نجد وفي الشام وفي العراق، وظهور شمر من طئ وحلولها محل الأصل في المكان والتسمية والشهرة.

من الطبيعي أن مكانة طئ في صدر الدولة الإسلامية بقيت على ما هي عليه من رفعة ومهابة كما كانت في عهد المصطفى ﷺ ومن بعده في عهد الخلفاء الراشدين وكلنا نعرف دورهم وبلاءهم في حروب الردة والفتوحات الإسلامية في الشام والعراق ولعل الفتوحات الإسلامية تسببت في هجرة بطون عديدة من طئ وعشائر استوطنت الشام والعراق ثم تضعضع نفوذهم ومكانتهم كقبيلة في الجبلين بسبب تلك الهجرات المتتاليه مما أعطى الفرصة في حقب لاحقة لبروز البطن (شمر) وهيمنته على أرض الجبلين، حيث أصبح أمراء الجبلين من شمر (آل علي) من الجعفر لعبده لقرون عديدة ينازعهم الجربان في السلطة على بطون عديدة من شمر ثم جاءت أسرة آل رشيد من بعد آل علي كما سنرى، وتحت إمرة آل علي ثم آل رشيد أصبحت شمر المهيمنة على المنطقة وذلك بعد القرن التاسع الهجري وإلى أن تم توحيد المملكة العربية السعودية تحت قيادة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وانتهى بذلك أي سلطة لهذه القبيلة أو تلك إذ أصبحت بفضل الله ثم بفضل عبد العزيز دولة وشعباً واحداً ضمن أمة تتطلع وتشرأب لتسنم ذرى المجد كما كان الأسلاف رسل حضارة إسلامية راشدة.

إن ما يربط شمر بطئ في نظري ليس الانتماء فقط "إنتماء شمر لطئ" وإنما النفوذ الذي كان لآل ربيعة الطائيين في شمال الجزيرة العربية وأجزاء من العراق والشام والذي يقترب من نفوذ الدولة كما ذكر ذلك المحامي فرحان أحمد سعيد في كتابه (آل ربيعة الطائيون) الصادر في بيروت عن الدار العربية للموسوعات،

وما أكده عبد القادر فياض حرفوش في كتابه آنف الذكر (قبيلة طئ في الجاهلية والإسلام) حيث أكد الباحث وجود ذلك النفوذ والمكانة لهذا البطن من طئ وإنني إذ أري أن إمارة آل علي في الجبل هي امتداد لنفوذ ذلك البطن من طئ الذي ذكرت فيه عوائل وأسماء تتشابه. بل تكاد تتطابق مع أسماء عائلة آل علي، محمد، عيسى، مهنا ومع أسماء عوائل و فخوذ من شمر : آل فضول، آل مفضل، ربيعة ... إلخ.

عليه نجد أن آل ربيعة من طئ هم امتداد لطئ في الجبلين ونهاية وجودهم ونفوذهم في منطقة الجبلين هي بداية إمارة آلي علي وتلك الحقبة التي عرفت (بتحدير) بهيج من عقدة على يد (السناعيس) وهم شمر أي حقبة تحول النفوذ من طئ إلى شمر وذلك على أغلب الظن منتصف القرن التاسع حيث بدأت إمارة آل علي. سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل، ولهذا سوف ننتقل الآن إلى إمارة آل رشيد متجاوزين ما يربو على قرنين ونصف القرن هي فترة إمارة آل علي الذي سوف نفصل الحديث عنه في الفصل القادم. حيث انتهت إمارة أسرة آل علي بعهد عيسى بن عبيد الله بن فايز بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي آل علي وذلك باستيلاء عبد الله بن علي بن رشيد على الإمارة عام (١٢٥١هـ)، وكان قبل ذلك دخول أخيه عُبَيد بن علي بن رشيد حائل وقتل صالح بن عبد المحسن بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي آل علي و الاستيلاء على السلطة نهاية عام (١٢٥٠هـ)، إلا أن عيسى بن عبيد الله تمكن من العودة بأسرة آل علي للإمارة لمدة (٧) أشهر كما سيرد تفصيله حيث دخل عبد الله بن رشيد عام (١٢٥١ هـ وربما ١٢٥٢ هـ) وأعاد السلطة لآل رشيد الذين دامت إمارتهم لمدة (٩٠) سنة، وقد انتهى عهدهم بدخول جلاله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مدينة حائل ودخولها في طاعته عام (١٣٤٠ هـ).

ابتدأت سلطة آل رشيد بتعيين الإمام فيصل بن تركي لعبد الله بن علي بن رشيد أميراً على جبل شمر، وكانت تعرف المنطقة بهذه التسمية آنذاك، وذلك أواخر سنة (١٢٥٠ هـ) حيث كانت إمارة آل علي في جبل شمر تتبع الدولة السعودية وكذلك بداية إمارة آل رشيد قبل أن تحيط بالدولة ظروف مكنت إمارة آل رشيد من الإستقلال عن الدولة السعودية ثم المنافسة شيئاً فشيئاً حتى نهاية الدولة السعودية الثانية في العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري حيث استتب الأمر لإمارة آل رشيد إلى أن عاد الملك عبد العزيز ونجح في استعادة الأوضاع وإنهاء الإمارة عام (١٣٤٠هـ[1]).

بدأت إمارة آل رشيد بتعيين عبد الله بن علي بن رشيد أميراً على البلاد من قبل الدولة السعودية، وقد اختلف الكتاب والمؤرخون حول تاريخ ذلك الحدث فمنهم من جعله عام (١٢٥١ هـ) ومنهم من جعله لمطلع عام (١٢٥٣هـ)، والأرجح أنه أواخر عام (١٢٥٠ هـ) ذلك أن دخول آل رشيد حائل للمرة الأولى واستيلاءهم على السلطة كان أواخر عام (١٢٥٠ هـ)، ثم عاد عيسى بن عبيد الله آل علي وأعاد آل علي للسلطة لمدة (٧) أشهر، ثم عاد أبناء علي الرشيد (عُبَيد وعبد الله) واستولوا على السلطة فيما يقارب أواخر عام (١٢٥١هـ) وربما بداية عام (١٢٥٢هـ).

استمرت إمارة عبد الله بن علي الرشيد حتى عام (١٢٦٣هـ) وذلك لفترتين كما تقدم، الفترة الأولى نهاية عام (١٢٥٠هـ) وبداية (١٢٥١هـ)، والثانية امتدت فيما بين (١٢٥٣ هـ) إلى أن توفي عام (١٢٦٣ هـ) وقد وصل نفوذه إلى الجوف وتيماء وكانت الإمارة في عهده تابعة للدولة السعودية .

---

(١) د. / عبد الله الصالح العثيمين : نشأة إمارة آل رشيد (الرياض : مطابع الشريف، الطبعة الثانية ١٤١١هـ) ص ٧

خلف عبد الله بن علي بن رشيد ابنه طلال بن عبد الله الذي تولى الإمارة عام (١٢٦٣هـ) حتى مات منتحراً عام (١٢٨٥هـ) بعد أن أصيب بمرض من نوع الورم في الدماغ فنصحه طبيب أعجمي بنوع من الكي والعلاج ستشفيه من المرض إلا أنه يجعل منه رجلاً معتوهاً فقرر إنهاء حياته كي لا يشمت به الأعداء (لا حول ولا قوة إلا بالله).

ثم جاء من بعده أخوه متعب بن عبد الله عام (١٢٨٥ هـ) ثم حدث الخلاف بينه وبين أبناء أخيه طلال وهم بندر وبدر ومسلط ونهار ونايف وعبد الله، فقتلوه عام (١٢٨٧ هـ) أي بعد أقل من عامين من حكمه، ويقال أنه لم يكمل العام في الحكم حيث تولى من بعده أحد أبناء أخيه وهو بندر بن طلال بن عبد الله عام (١٢٨٧ هـ) إلا أن محمد بن عبد الله بن رشيد لم يمهله وأخوته حيث قرر الثأر لأخيه متعب بن عبد الله من أبناء أخيه طلال الذين تولى أحدهم - بندر - واستأثروا بالإمارة فقرر التخلص منهم وكان له ما أراد إذ قتلهم محمد العبد الله جميعاً - بندر وبدر ومسلط ونهار ونايف وعبد الله عام (١٢٨٩هـ) حيث تولى الإمارة محمد بن عبد الله في ذلك العام وحتى عام (١٣١٥هـ). وقد وصلت إمارة آل رشيد في عهده ذروتها وبسطت نفوذها على مناطق شاسعة من نجد، وتوفى عام (١٣١٥هـ) بعد مرض. وتولى من بعده عبدالعزيز بن متعب وهو ابن لمتعب الذي قتله أبناء أخيه طلال بعد حكم لم يتجاوز العامين كما تقدم. وكان تولي عبد العزيز للأمر بتوصية من عمه محمد العبدالله الرشيد حيث كان عقيماً، وحين مرض وأدركته الوفاة - أوصى لعبدالعزيز المتعب من بعده -، وقد امتدت فتره إمارته حتى عام (١٣٢٤هـ) حيث قتل وتولى من بعده ابنه متعب بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن رشيد الذي رفق بأخواله وأبناء عمومته (العُبَيد) وقربهم إليه رفقاً بخاله حمود العبيد الرشيد وتقديراً لموقفه منه إذ هو الذي أمر بتنصيب متعب أميراً. ولكن أبناء خاله

حمود لم يرق لهم الأمر إذ كانوا يبيتون نية الغدر بوالده عبد العزيز المتعب من قبله، وقد تمكنوا منه وقتلوه هو وإخوته من أمه (موضي) بنت حمود العبيد الرشيد وهم : متعب بن عبد العزيز، مشعل بن عبد العزيز ومحمد بن عبدالعزيز، ولم ينج من القتل من أبناء عبد العزيز المتعب الرشيد إلا سعود بن عبدالعزيز المعروف (بأبي خشم) إذ هرب به أخواله السبهان إلى المدينة. وقد تولى كبر هذه الجريمة البشعة أبناء حمود العبيد وهم : سلطان الحمود وسعود الحمود وفيصل الحمود المعروف بسبيت بحق أبناء أختهم موضي الحمود العبيد. وكان ذلك في نفس العام الذي تولى الإمارة فيه - أي عام (١٣٢٤ هـ) إذ لم يستتب له الامر كما قلنا للنزاع والحقد الذي كان يكنه أخواله له ولأبيه من قبله وبعد مقتله تولى السلطة من بعده سلطان بن حمود بن عبيد بن علي الرشيد وهو أحد الذي دبروا ونفذوا جريمة القتل بحق ابن أختهم وابن عمهم - الأمير السابق متعب بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن علي الرشيد . ويعتبر تولي سلطان بن حمود العبيد نقطة تحول في عمر دولة آل رشيد في إمارة الجبل، ذلك أن الإمارة اقتصرت في عبد الله وأبنائه وأحفاده من بعده في حين اقتصر دور عُبَيد في تدعيم إمارة عبد الله وأبنائه إذ كان وفياً لأخيه عبد الله ثم لأبنائه وأحفاده من بعده، وتولى سلطان بن حمود العبيد نقل السلطة للعُبَيد من العبد لله . أما الأمر الثاني الذي نعده نقطة تحول في عمر الإمارة أن ذلك العمل الذي قام به سلطان الحمود العبيد وإخوته : سعود وفيصل (سبيت) الذين يقول فيهم والدهم حمود العبيد : (حسبي على سلطان وسعود وسبيت) يتمثل في أن ذلك العمل أسرع من انقضاء عمر هذه الإمارة في تسارع نحو الهاوية من حيث كثرة القتل والاقتتال وقصر مدة إمارة من جاء بعد تلك الفترة يستثني من ذلك فترة إمارة سعود بن متعب (أبو خشم).

تولى السلطة سلطان بن حمود العبيد عام (١٣٢٤ هـ) بعد مقتل متعب وإخوته ودامت إمارته حتى عام (١٣٢٦ هـ) حيث قتله أخوه سعود بن حمود العبيد بعد أن قرر سلطان الهرب إلى مصر وهو يحمل كل ثمين من خزانة الإمارة، فلحق به وعاد به مصفداً إلى حائل حيث رآه أحد المارة ففوجئ وقال بتعجب : الأمير !! فرد الأمير المقرن بالأصفاد بقول : ول .. أمير ومضبب !! أي أمير مقيد بالأغلال فراحت مثلا إلى اليوم .

بعد مقتل سلطان تولى الإمارة قاتله وأخيه سعود بن حمود العُبّيد عام (١٣٢٦هـ)، وهذا أيضاً لم يلق القبول من شمر وأهالي حائل مثل أخيه وسابقه في الإمارة وشريكه في جريمة قتل عيال عبد العزيز بن متعب وسلب الإمارة من آل عبد الله وهم أهلها والأجدر بها لحنكتهم وسياستهم، أما العبيد فلم يكونوا آنذاك بالقدر الذي يؤهلهم للقيادة والإمارة . لذا لم تدم إمارته طويلاً إذ كان الأهالي على اتصال بالسبهان الذين هربوا بابن أختهم سعود بن عبد العزيز المتعب (أبو خشم) إلى المدينة يطلبون منهم العودة بالأمير الشاب سعود لتولي الإمارة وطرد العبيد عنها، وهكذا كان إذ قتل سعود بن حمود العبيد في نفس العام (١٣٢٦ هـ) وذلك في (١٦ شعبان) من نفس العام - أي أن فترة إمارته لم تزد عن ستة أشهر حيث قتله سعود بن عبد العزيز المتعب .

ثم تولى الإمارة سعود بن عبد العزيز المتعب في (١٦ شعبان ١٣٢٦هـ) وكان صغيراً تولى الوصاية عليه وتقديم المشورة له أخواله حمود وزامل أبناء سبهان الذي هو جد سعود بن عبد العزيز المتعب، وقد كان لأخواله دور كبير في سياسة الأمور وتدبيرها، ثم اختلت الأوضاع بموت حمود السبهان - يقال أنه مات مسموماً، ومن بعده تولى أمر الإستشارة أخوه زامل السبهان فحدث انشقاق بينه وبين سعود الصالح السبهان، وقد أدى الخلاف إلى قتل سعود الزامل فاختلت الأمور وفسدت واضطربت حيث كان سعود الصالح السبهان ليس لديه

خبرة أو سياسة أو دراية في أمور الإمارة . استمرت إمارة سعود بن عبد العزيز المتعب الرشيد حتى عام (١٣٣٨هـ) حيث قتله العُبيد .

ثم تولى الإمارة عبد الله بن متعب بن عبد العزيز المتعب لمده ثلاثة أشهر فقط حيث تولى الإمارة من بعده محمد بن طلال بعد أن استسلم عبد الله المتعب للملك عبد العزيز وذهب للرياض إلا إن الأمور كانت أشبه بالآيله للسقوط إذ لم يدم عهد محمد الطلال طويلاً حيث دخل الملك عبد العزيز مدينة حائل في محرم من عام (١٣٤٠ هـ) وانتهت بذلك إمارة آل رشيد في جبل شمر[1] .

٥- حائل المعاصرة :

لكل مواطن من مواطني هذا الكيان العظيم (المملكة العربية السعودية) أن يتخيل أوضاع الجزيرة العربية لو لم يكن لطف الله سبحانه وتعالى ثم ظهور عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ووجوده في تلك اللحظات الحالكة السواد في تاريخ الجزيرة ليجمع شتاتها ويوحد كيانها ويلم شملها ويوحد كلمة أهلها، لتصبح واحدة موحدة بعد فرقة وتشتت، وقوية عزيزة منيعة بعد ضعف وذل، وعلى كل منصف في هذا العالم أن يقرأ سجل تاريخ عبد العزيز إذ لو لم يجد فيه من الخصال إلا هذه الخصلة التي سجلت له موحداً معزاً لكفته فخراً ورفعة .

دخلت حائل في طاعته في صفر من عام (١٣٤٠هـ) إذ حفظ لها العهد وحرم محرماتها وجعل لها ولأهلها ما له ولأهله، فأصبحت من ذلك الوقت جزءاً من أجزاء الدولة الفتية . وهي في واقع الحال عادت إلى ما كانت عليه جزءاً

---

(١) لمزيد من الإيضاح إرجع إلى الكتب التاليه :

أ. حائل وعبقرية المكان، مصدر سابق .

ب. أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل، مصدر سابق .

ج. ضاري في فهيد الرشيد : نبذه تاريخية عن نجد (الرياض : منشورات دار اليمامة، ١٣٧٣ هـ).

د. عبد الرحمن المرشدي : شريط مسجل لتاريخ تلك الحقبة بصوته .

من الدولة السعودية حيث كانت تابعة للدولة السعودية الأولى منذ قيامها ومنذ عهد فايز بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي منتصف القرن الثاني عشر ثم دخلت بعد معركة العدوة عام (١٢٠٥هـ) في عهد عبد المحسن رحمه الله ثانية في طاعة الدولة السعودية، ولم تخرج عن تلك الطاعة طيلة بقية عهد آل علي الذي دام بعد ذلك التاريخ لمدة تقارب الخمسين عاماً وكذلك مطلع عهد آل رشيد.

وكان من كياسة عبد العزيز وحنكته وتقاه حين يفتح الله عليه المدن والمناطق يعمد إلى تهدئة الأوضاع والنفوس وطمأنة الخائف ومواساة المظلوم ليعيش المجتمع واحداً موحداً وذلك كأحد أساليبه العظيمة في تحقيق الانصهار السياسي. بعد دخوله حائل ودخولها وأهلها في طاعته عمد إلى تنصيب إبراهيم السالم السبهان في نهاية شهر صفر من عام (١٣٤٠هـ)، وهذا يصب في قناة دهاء عبد العزيز وحنكته السياسية وعفوه وتسامحه. وفي عهده عرفت حائل كما عرفت بقية المناطق في مملكتنا الحبيبة معنى الاستقرار والنمو والتطور والرفاهية والرقي إذ أكمل أبناؤه البررة من بعده مشواره في البناء للوطن والمواطن في كيان متراص البناء اندمج الجميع فيه في عمليه بناء قل أن شهد التاريخ مثيلاً له.

وقد توالى على إمارة حائل:

أ. إبراهيم السالم السبهان الذي تولى الإمارة لعام ونصف العام بعد دخول المدينة في طاعة الملك عبد العزيز.

ب. سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود رحمه الله من عام (١٣٤١هـ حتى عام ١٣٩١هـ).

ج. سمو الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من عام (١٣٩١هـ حتى عام ١٣٩٢هـ) حيث مرض وتوفي رحمه الله.

د. سمو الأمير سعد بن فهد بن سعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من عام (١٣٩٢هـ حتى عام ١٣٩٦هـ).

هـ. صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز آل سعود من عام (١٤٠٠هـ حتى ١٥/ ٨/ ١٤٢٠هـ) حيث انتقل حفظه الله إلى طيبة الطيبة مدينة المصطفى ﷺ فهنيئاً له بطيبة الطيبة وهنيئاً لها به .

و . صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز من (١٥/ ٨/ ١٤٢٠هـ) حتى الآن أطال الله بعمره وأعانه على الخير.

وقد تحقق لمنطقة حائل كما تحقق لبقية مناطق المملكة من التقدم والرفاه الذي ينشده المواطن والذي تحرص عليه الدولة وتسخر الإمكانات لتوفيره وتحقيقه للمواطن الذي هو عماد النهضة المعاصرة . ولا تزال المنطقة تأمل من حكومتنا الرشيدة تحقيق العديد من الأماني والتطلعات كوجود جامعة في المنطقة وربطها بشبكة خطوط مزدوجة إلى القصيم والمدينة والجوف، وهذه الأماني والتطلعات التي يسعى صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز لتحقيقها ويبذل الجهد والوقت في سبيل ذلك وفقه الله في جهوده الخيرة لرفعة المنطقة في ظل حكومتنا الرشيدة.

الفصل الثالث

آل علي ... الأصل والنسب ، الموطن وأبناء العمومة

١. آل علي ... الأصل .

٢. آل علي ... النسب .

٣. آل علي ... الموطن وأبناء العمومة .

الفصل الثالث

آل علي.. الأصل والنسب ، الموطن وأبناء العمومة

في هذا الفصل ومواضيعه التي سوف يقتصر فيها الحديث على "آل علي" في أصلهم ونسبهم وموطنهم نعود بالحديث إلى تلك المنطقة الضيقة التي تحد وادي (شعيب) الأديرع حين تخنقه الجبال السمر فيما عرف بسبب هذا الاختناق بالخَنْقة ، وما جاورها من مناطق إلى الجنوب والجنوب الغربي ، وإلى الشمال والشمال الشرقي منها والتي تعرف بذلك منذ أن عرفت حائل وسكنت بعوائل الجعفر وهم الذين تنتمي إليهم أسرة آل علي. وهنا سوف نستخدم المخطط الذي أشرنا إليه في مطلع الفصل الأول وهو المخطط رقم (١) والذي قلنا أننا سنستخدمه كلما أردنا الحديث عن تلك المنطقة وعن أسرة آل علي ، فهي التي عليها تاريخ أسرة آل علي ، فيما بين الخنقة في حدري البلاد حيث النشأة وحيث أملاك المهنأ والثامر والعيسى من آل علي ، وبين الوَشَيقي في مُغيضَةْ حيث انتقال العيسى من آل علي بمركز السلطة والإمارة إلى تلك الأملاك التي ورثوها عن أخوالهم "الشهوان".

١. آل علي .... الأصل :

جدلية لم يسلم منها أغلب من تحدثوا عن المنطقة وخصوصاً عن شمر كقبيلة وصلتها بطيء وعن حائل كموطن ، ألا وهي تسمية المدينة ونسبة شمر إلى طئ أو إلى قحطان أو هي خليط من قحطان وطئ. عن التسمية تحدثنا وبينا أن التسمية بحائل قديمة يوثقها شعر امرئ القيس ، وهذا وحده كاف فالتاريخ يدونه الشعر ويوثقه جيل بعد جيل وقد مر بنا قول امرئ القيس :

تبيت لبوني بالقرية أمناً وأسرحها غبّاً بأكناف حائل

وسواء كانت القُريّة السويفلة أو الخنقة ـ والسويفلة عندي أنا ابن حدري البلاد هي جزء وامتداد للخنقة فليست هذه وتلك إلا حارات من حارات حائل القديمة المعروفة وإلى يومنا هذا بحدري البلاد، أو كانت تلك القرية هي إحدى قرى جبال أجا والتي أرجحها على هذا النحو إن لم تكن الخنقة، أو كانت القُريّة هي حائل التي لا بد أنها في الأصل قُريّة ثم أصبحت قرية ثم تحولت إلى بلدة ثم إلى مدينة فتلك هي سنة الله في خلقه. وسواء كانت التسمية "حائل "هي في الأصل للوادي " شعيب الأديرع " أم هي للبلدة ثم تسمى الوادي بها فيما بعد فالأمر سيان إذ أن التسميات ليس من المحتم تعليلها أو تفسير ماذا تعني ؟ لماذا هي كذلك ؟ تلك جدلية تحدثنا عنها في الفصل السابق. أما الجدلية الثانية التي لابد من الحديث عنها قبل الحديث عن نسب آل علي وأصلهم، فهي تلك المتعلقة بنسب قبيلة شمر التي ينتسب إليها آل علي، إذ أن هناك من جعل قبيلة شمر المعاصرة إئتلاف كونته بطون من طئ وبطون من قحطان هاجرت وجاورت بطون طئ في موطنها بالجبلين وكونت معها ذلك الائتلاف المعروف الآن بشمر. وهناك من جعل شمر طائية صرف هاجر بطن من بطونها" عبده " إلى بلاد قحطان لأسباب غير معروفة كالضيم أو الجدب ثم عادت عبده إلى اصلها وأهلها في بلاد طئ عندما تبدلت الظروف وعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه وهناك من قال: إن عبده وبقية فخوذ وبطون قبيلة شمر المعروفة اليوم كلها من طئ وشمر منسوبة كما ورد بنا من قبل إلى قيس بن شمر وأن طئ بأكملها هي من القبائل القحطانية ولا مجال للتفرقة بين بطون شمر من هو منسوب إلى قحطان ومن هو المنتسب إلى طئ، فالأصل واحد.

آراء عديدة في قبيلة شمر وجدلية معروفة كتلك الجدلية التي ذكرنا بعض جوانبها وأطرافها حول تسمية المكان " الموطن " بحائل، وسوف نسعى لإلقاء الضوء على بعض من جوانبها كما فعلنا عند الحديث عن التسمية علّنا نزيل

بعض الغموض حول هذين المفهومين : التسمية بحائل ، والنسب لشمر. لتأصيل نسب شمر وحسم هذه الجدلية ، لا بد من تدوين بعض الحقائق قبل أن نبحث تلك الآراء التي ترد ضمن هذه الجدلية :

أ. **المعروف ــ كأولى هذه الحقائق ــ أن العرب تنقسم إلى :**

١) **العرب البائدة :**

هي تلك الشعوب والقبائل العربية التي بادت وانقرضت ، أخبرنا القرآن عن هلاك بعض منها بسبب المعصية ، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ (الحاقة : ١ ـ ٨) فهل ترى لهم من باقية ؟ نعم ليس لهم باقية ، لقد أبادهم الله سبحانه وتعالى بكفرهم. ويقول عز من قائل : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر : ١ ـ ١٤). عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم شعوب وقبائل عربية أبادهم الله بسبب الفساد والإفساد في البلاد والطغيان على العباد ، ولحكمة لا يعلمها إلا هو ، إذ إستبدلهم الله بشعوب وقبائل وأمم أتت من بعدهم ، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ

وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان : ٢٥ ـ ٢٩) فتلك سنة الله في خلقه إذ لا نجد الآن أي أثر لعاد أو ثمود أو طسم أو جديس أو قوم فرعون وقوم لوط وغيرهم إلا اللهم تلك الآثار التي نمر بها لنعتبر كمدائن صالح، والبحر الميت (بحيرة لوط) التي كانت مواطن قومه ، والأهرام في مصر أما تلك المدينة العامرة التي طمسها الله في أوساط الربع الخالي بريح عاتية فليس هناك أي أثر لها رغم البعثات التي انتدبت للبحث والتنقيب عنها سبحان الخالق الذي إليه الأمر كله من قبل ومن بعد.

٢) العرب العاربة :

تمحورت أمة العرب بعد تلك الشعوب والقبائل التي أبادها الله وتشتت البعض منها واندمجت فيما عرف بالقبائل العربية العاربة وهي التي انحدرت من قحطان وانتسبت إليها ، ثم انتشرت في الجزيرة العربية وما والاها من حواضر بعد انكسار السد وإليها ينتسب العديد من القبائل التي نعرفها اليوم ولا تحمل التسمية لبعد الشقة وتتابع الأجيال بين قحطان ـ الجد والأصل ـ وبين الأنساب والعوائل والبطون والقبائل المعروفة اليوم.

طئ ـ على سبيل المثال ـ تنتسب إلى قحطان كما سبق وأن ذكرنا ، خرجت مما يلي الجوف اليمانية ونجران وانتشرت في الجزيرة العربية ، ثم تشتت طئ ذاتها ولم يعد هناك اليوم قبيلة محددة تحمل هذا الاسم ، إليها ينتسب "شمران" و "بنو الحارث" و "شمر" على سبيل المثال وليس الحصر. ولكن ليس هناك من يعيد أي منها إلى طئ ثم إلى قحطان غير من يتحدث عن الأنساب أو عن القبائل وأصولها وتاريخها ، وما عدا ذلك فشمران قبيلة مستقلة بذاتها وكذلك بنو الحارث ، وما ينطبق عليها ينطبق في ذات الوقت على شمر وغيرها من القبائل

العربية التي تنتمي في أصولها إلى طئ ثم إلى قحطان.. وتلك هي سنة الله في خلقه فأنت اليوم وأنا وغيرنا من الأفراد لن نكون بعد آلاف السنين إلا أمما وشعوبا وقبائل قد مضت، هكذا نشأت الأمم وتكونت الشعوب والقبائل.

٣) العرب المستعربة :

خرجت القبائل العربية قبل الميلاد بمئات وآلاف السنين من الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب ووادي النيل وشمال افريقيا، ومن بين هذه القبائل " الكلدانيون " الذين سكنوا منطقة جنوب العراق وعمروها وعرفت باسمهم " أور الكلدانيين " وأور تعني " منطقة " بلغة القبائل العربية آنذاك وهكذا سميت " منطقة السلام " أور سالم " التي حرفها اليهود فيما بعد إلى " أورشليم". إلى الكلدانيين ينتمي إبراهيم عليه السلام، وهو الذي هاجر هربا بدينه من موطن الكلدانيين " أور الكلدانيين " إلى شمال العراق ثم شمالي سوريا ثم جنوبها إلى حبرون التي سميت بإسمه فيما بعد إذ أسماها المسلمون " الخليل " ومنها إلى مصر ومنها إلى مكة المكرمة حيث خلف إسماعيل ثم عاد إلى مصر حيث خلف من بعد إسماعيل إسحاق ومنه يعقوب عليهم السلام، ثم انتقل إلى مكة مرة أخرى حيث أقام البيت العتيق ومعه إسماعيل عليه السلام حيث بيت الله المحرم، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ (إبراهيم آية ٣٧) هذا خطاب إبراهيم عليه السلام لربه حين ترك هاجر وابنها الوليد إسماعيل عليهما السلام بمكة حيث بيت الله الحرام. من نسل هذا الوليد خرجت القبائل والبطون العربية التي سميت فيما بعد بالعرب المستعربة وهذا دليل نسبة القوم إلى هذا الذي استوطن أرض العرب بعد غربة وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

إليه عليه السلام تنتمي القبائل العدنانية " العرب المستعربة " وتلك التي دخلت في حلف معه مثل جرهم حيث صاهرهم و اندمج معهم ثم اندمجوا مع من انتسب إليه عليه السلام. وكما هي حالة القبائل القحطانية فلا أحد اليوم يقول إن تلك القبيلة تعود إلى العرب العاربة أو إلى قحطان مع بقاء جزء من القحطانيين يحمل اسم قحطان إلى يومنا هذا، وكذلك لا أحد من القبائل اليوم من يقول أنه ينتسب إلى عدنان أو الى العرب المستعربة إلا عند المحققين والمؤرخين ومن يعتني بالكتابة عن الأنساب.

ب. إن قبائل اليوم ــ كحقيقة ثانية ــ كلها تنتمي إلي :

العرب العاربة " قحطان " أو إلى العرب المستعربة " عدنان " يام وشهران وشمران وسبيع والبقوم والحرث وعتيبة وحرب ومطير وشمر وعنزه ... إلخ. كلها خرجت من بطن قحطان أو من جوف عدنان ولكن لا يظهر هذا الرباط إلا حين البحث / ما عدا من بقى في أرض قحطان التي كما قلنا لا تزال التسمية واحدة (قحطان) لا موارية فيها ولا اختفاء وإليها ينتسب الرجل فيقال: فلان قحطاني. وإمتداد لهذه الحقيقة فإن بعض هذه القبائل مرت بعدة مراحل وتسميات قبل أن تصل إلى واقعها وتسميتها المعاصرة مثال : شمر لم تخرج من قحطان مباشرة، وإنما مرت في حقبة من تاريخ هذا الخروج بمرحلة أخرى هي مرحلة " طئ " على الأقل جزء من شمر بواقعها وتسميتها المعاصرة، ومن يدري كيف تكون حالها بعد ألف سنة أو حال أية قبيلة من القبائل وما هي التسمية التي ستكون عليها ؟ هذه القبائل كلها تعود في أصولها إلى جنوب الجزيرة العربية أثر تلك الهجرات العربية أو شمالها في حين استمر الجزء الأعظم من القبيلة في الهجرة إلى ما يلي الجزيرة من الشمال، أو أنها ائتلاف بطون وعوائل من هنا وهناك تكونت فيما بعد وتشكلت على النحو القبلي الذي نراه اليوم.

ج. الحقيقة الثالثة:

وهي حقيقة مرتبطة بالحقيقة السابقة وتتمثل في أن مجتمع الجزيرة العربية مجتمع قبلي صرف - أي مجتمع أحادي الطبقة - ثم تعرضت لهجرت معاكسة من خارج الجزيرة العربية : الهجرة الجماعية والفردية من سواحل أفريقيا الشرقية إلى السواحل الغربية للجزيرة العربية " السواحل الشرقية للبحر الأحمر " وهي هجرات لا تزال تعاني منها الأجهزة الأمنية في المملكة العربية السعودية واليمن. وقوافل الحج التي تقدم مما يلي الجزيرة العربية من الشمال والشرق حيث تعبر شمال الجزيرة ونجد نحو البيت العتيق فيتخلف من ينقطع به السبيل هنا أو هناك أو يطيب له المقام في الأراضي المقدسة في مكة والمدينة أو في الطريق البري مثل حائل والجوف - ومع وجود الرق وما تركه من ترسبات جيل بعد جيل ... هذه الفئات والطوائف ومع توالي السنين والقرون تحولت إلى طبقات وتحول المجتمع الأحادي الطبقة في الجزيرة العربية إلى مجتمع متعدد الطبقات في حواضر الجزيرة العربية في نجد والحجاز وعسير واليمن وبقية حواضر الجزيرة العربية التي استوطنت بها هذه الطبقات. وطبيعي أن وجود هذه الأعداد الكبيرة من هذه الفئات يشكل عاملاً مساعداً في استيطان بادية قبائل الجزيرة العربية في تلك الحواضر مما زاد مع مرور السنين والقرون في تشقق تلك القبائل وتفرعها وتحولها في الأغلب إلى مجتمع زراعي - حضري -، وهذا بدوره ساعد على زيادة الحواضر في الجزيرة العربية وساعد مع الزمن على البعد عن الأصل مثال : شمر " حاضرة و بادية " وهي في الأصل من طئ وهذه في الأصل من قحطان " بادية " و" حاضرة " .

د. الحقيقة الرابعة:

أن حائل موطن شمر كانت حاضرة لجديس وهي من القبائل العربية البائدة كما سبق ذكره، استوطنها " العماليق " وانتقلوا منها إلى مصر حيث أسقطوا

الأسرة الفرعونية وحكموا مصر حقبة من الزمن، ومن بعد العماليق استوطنتها "طئ" وهي قبائل وبطون تعود كما ذكرنا إلى "طئ" الذي قدم وإستوطن الأرض وأبنائه ثم تكاثر ومنها انطلقت بطون طئ إلى العراق والشام وفلسطين ومصر. ومن طئ ظهرت شمر وأصبحت كما هو معلوم وريثة الأرض بعد طئ، وهكذا دواليك شعوب وقبائل بعضها مرتبط ببعض وبعضها متحالف مع البعض وبعضها منشق عن البعض، ومن هذا وذاك تتشكل القبائل وشمر ليست استثناء عن تلك القاعدة. وحائل في نفس الوقت تتمتع بموقع إستراتيجي كما سبق ذكره على طريق قوافل الحج القادمة من العراق وأرض فارس وما وراء النهرين، وقد تأثرت بتلك القوافل على مر السنين مما زاد نصيبها من التحضر حيث استوطن العديد من الوافدين للحج، وهذا أسهم كما ذكرنا في الحقيقة السابقة في زيادة نسبة المتحضر من قبيلة شمر التي أصبحت المنطقة تحمل اسمها بعد طئ "جبل شمر" ومن القبائل المجاورة من تميم وعترة وبني رشيد وغيرهم فتكونت حاضرة كبيرة زادت عهود التنمية المعاصرة من نصيبها من التقدم والنمو في ظل دولتنا الغالية وحكومتنا الرشيدة .

هـ. الحقيقة الخامسة:

أن علماء الأنساب اختلفوا في آرائهم حول ترتيب طبقات القبائل، إلا أن أغلبهم يرى ما يراه صاحب "صبح الأعشى" الذي رتب طبقات العرب إلى ست طبقات هي[١].

١) الشعب:

وهو النسب الأبعد الذي تنسب إليه القبائل كعدنان أو قحطان والذي تنسب إليها العديد من القبائل، وقد سمي شعباً لأن القبائل تتشعب عنه.

---

(١) عبد القادر فياض حرفوش : قبيلة طئ في ذا الجاهلية والإسلام، مرجع سابق ص ٢٠.

٢) القبيلة:

وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر، وتجمع على قبائل، وقد سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها.

٣) العمارة:

وهي ما أنقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع على عمائر أو عمارات.

٤) البطن:

وهي ما أنقسم فيه أنساب العمارة كبني عبد مناف وبني مخزوم ويجمع على بطون أو بطن.

٥) الفخذ:

وهي ما أنقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أمية ويجمع على أفخاذ.

٦) الفصيلة:

وهي ما انقسم فيه أنساب الفخذ كبني العباس وبني أبي طالب وتجمع على فصائل.

فإذا اعتبرنا قحطان شعب تفرع عنه قبيلة طئ وتفرع عن قبيلة طئ عمارة شمر وحيث من غير الشائع استعمال عمارة، وحيث أن طئ انتشرت ثم اندثرت كقبيلة، فقد أصبحت شمر قبيلة كما هي طئ قبل أن تتشت فروعها وبطونها وعوائلها في الحجاز ونجد والعراق والشام.

و. الحقيقة السادسة:

أن تلك الفترة التي تكونت فيها قبيلة شمر والعديد من القبائل المعروفة اليوم هي فترة مجهولة التاريخ لركود الفكر وعدم التدوين وسيطرة الجهل على العلم والخيال والعاطفة على العقل وسوف نفصل ذلك عندما نتحدث في جوانب

أخرى عن عائلة آل علي في الفصل القادم على ضوء هذا الحقائق سنتحدث عن الآراء التي وردت حول طبيعة تكوين قبيلة شمر لنصل إلى تحديد هذه الطبيعة وهل هي قبيلة إئتلافية كما هي حالة بعض القبائل المعاصرة اليوم - أي جزء من طئ وجزء من قحطان ؟ أم هي قبيلة أحادية النسب تنتمي إلى طئ وحدها وليست لها علاقة مع قحطان إلا فيما يربط بين قحطان وطئ من نسب ؟ أم هي قبيلة أحادية النسبة، إلى قحطان حتى وإن انتمى جزء منها إلى طئ وجزء آخر إلى قحطان حيث أن هذا من ذاك وما وجد الاختلاف إلا من حيث تاريخ الهجرة حيث لحقت عبده ببقية طئ بعد قرون من هجرة طئ ؟

من بين الآراء والاجتهادات التي قيلت في تكوين قبيلة شمر ما يلي :

أ. ما أورده الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

في كتابه المشار إليه آنفا ومنه قوله[1] (إن عشيرة عبده - هنا هي عشيرة وليست فخذ كما هو معروف - المنتمية إلى قبيلة قحطان كانت تسكن شرق منطقة عسير في جهات وادي تثليث ثم هاجرت من هناك إلى نجد واستقرت آخر الأمر في منطقة جبل شمر - أي وفق رأيه أن شمر موجوده ومعروفة قبل هجرة عبده إليها - وتختلف الروايات اختلافا كبيرا في تحديد الزمن الذي حدث فيه هجرة تلك العشيرة من موطنها الأول إلى مستقرها الجديد. فمنها ما تشير إلى أن هجرتها وقعت في القرن الثامن الهجري ... بقيت لعشيرة عبده مكانتها القوية في موطنها الجديد زمنا غير قصير وظلت لزعمائها كلمة مسموعة في قبيلة شمر بالذات بعد أن أصبحت في عداد هذه القبيلة وكان في طليعة أولئك الزعماء آل الجرباء - المعروف أن الجرباء ليسوا من عبده ولا من زعمائها ...)

لعل الحقيقة - من بين الحقائق التي أوردناها آنفا - التي تطالعنا حول

---

(١) د. / عبد الله الصالح العثيمين : نشأة إمارة آل رشيد، مرجع سابق، ص ٢٩.

حديث الدكتور عبد الله هو الجهل المطبق الذي كان يسود هذه الحقبة وقد أشار إليها الباحث في مطلع حديثه، إذ أن هذه الحقبة لم يعرف بالكاد منها وعنها إلا بعض الأسماء كما يقول الدكتور.

ب. ما أورده اللواء م / عقيل بن ضيف الله القويعي:.

في كتابه المشار إليه آنفاً والذي استهله في نهاية القسم الخامس والذي يكاد أن يكون مقدمة للقسم السادس ومن قوله[1] : (غير أنني مع عدم توفر المستندات لا أجزم بالقطع في هذا الأمر وإنما أخضعه للاستنتاج مع ترجيحي أن أهل الجبلين من بطون طئ بني لام وعشائرها من فضول ومغيرة وبني شمر والبطون الأخرى التي ظلت في أوديتها وشعابها في أجا وسلمى وما حولها من السهول ما زالت من القوة والقدرة على البقاء والمقاومة بحيث لم يرد ذلك في المراجع التي تيسر لي الاطلاع عليها في بحثي عن تاريخ تلك الأحقاب - الحقبة - المهملة من الذكر عن منطقة الجبلين وقد بذلت جهداً في البحث لعلي أجد خيطاً يربطني بمسيرة قبيلة طئ حتى ورثتها قبيلة شمر - هنا يرى أن شمر وريثة لطئ - التي هي بطن من بطون طئ، فلم أجد أمامي سوى الاستنتاج والترجيح في ضوء المقارنة ودعم الومضات الصغيرة فيما وجدته في إشارات بعض الاخباريين) تلك مقدمة لما أورده اللواء /عقيل من أقوال في شمر في القسم السادس من بحثه آنف الذكر نقلاً عن مصادر عديدة أخذ عنها مثل معجم البلدان، معجم القبائل، تاج العروس، الاشتقاق وغيرها - والتي خلص منها إلى أن شمر بطن من طئ حلت محلها إذ أورد بعد هذه المراجع التاريخية القديمة بعض من آراء المؤرخين المعاصرين مثل أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري الذي نقل عنه قوله : (وشمر بطن من بطون طئ ...) ورأي الشيخ حمد الجاسر الذي نقل عنه قوله : (شمر قبيلة

---

(١) لواء م / عقيل ضيف الله القويعي : أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل، ص ٧٢.

صريحة النسب وهي من القبائل التي لم تخل بلادها من بعض فروعها فقد حلت طئ بلاد الجبلين أجا وسلمى وما بينهما وما حولها وكانت شمر في الأصل فرعاً صغيراً من طئ فأصبح يجمع كثيراً من الفروع من طئ وغيرها).

ج. ما أورده أيضاً اللواء م / عقيل القويعي :

نقلاً عن الدكتورة / وفاء السنديوني في كتابها " شعر طئ في الجاهلية والإسلام " حيث نسبت عبده إلى عبده بن امرئ القيس بن زيد بن عبد رضا بن جذيمة بن حبيب بن قيس بن شمر بن جذيمة بن زهير بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طئ، وأضافت أن عبده بن إمرئ القيس ورد اسمه في سلسلة نسب طئ. وعلق اللواء عقيل بعد نقله هذا بقوله أن ذلك يعني أن بطون شمر تعود كلها لطئ وهذا ما أرجحه رغم تفاوت الآراء وتباينها. كما نقل عن الدكتور / علي شواخ الشعيبي في كتابه " القشعم من كبريات القبائل العربية " قوله أن لقيس بن شمر - ورد ذكره في الفصل السابق - ولد اسمه ضيغم وان لضيغم ابن إسمه مقدم وآخر إسمه راشد وثالث اسمه شهوان، وأن من ذرية هؤلاء ظهرت عشيرة عبده.

ثم نقل عن عمر غرامه العمروي في كتابه " منطقة تثليث وما حولها من ٦٥٠ - ١٤١٤ هـ " أن هجرة الضياغم في القرن السابع الهجري بعد تعرضهم لسيل قضى على الذراري والممتلكات وختم نقله عن الآخرين بما نقله عن عبد الكريم بن محمد السالم السبهان من أن هجرة عبده من تثليث إلى الجبلين والعكس لم تكن لمرة واحدة وإنما لمرات متكررة[١] ... أي أنهم أصلاً من طئ وعادوا إلى تثلث حيث الموطن الأصلي لطئ وحيث أبناء العمومة من قحطان ثم عادوا إلى الجبلين، وهذا أمر وارد.

---

(١) المرجع السابق ص ٩٣.

خلاصة القول ومما تقدم بنامن قول عن الآخرين الذين سبقونا في محاولة تاريخ المنطقة وقبيلة شمر على أرضها، وعلى ضوء ذلك أصل إلى بعض القناعات التي قد تكون صائبة أو ربما تكون دون ذلك وهي لا تعدو أن تكون إجتهاد ضمن اجتهادات الآخرين من قبل، أدونها على النحو التالي :

١. أن وصول قبيلة طئ إلى أرض الجبلين أتى في فترة تكاد تكون فترة انعدام وجود حضري كثيف لأي من القبائل أو الشعوب الأخرى التي استوطنت المنطقة قبل مجئ طئ إلى الجبيلن، العموريون هاجروا إلى الشمال ولم يعد لهم وجود، جديس وثمود اندثروا بأمر الله سبحانه وتعالى ولم يعد لهم وجود في منطقة الجبلين أو ما جاورها في مناطق ثمود وطسم وجديس، العماليق والذين ربما يكونوا من بطون الشعوب والقبائل التي اندثرت هاجروا بدورهم إلى فلسطين ثم عبروا سيناء إلى مصر حيث أسقطوا الأسرة الفرعونية وحكموا مصر حقبة من الزمن، بنو أسد لم يكونوا في أي عصر من العصور إلا في تلك القرى القليلة من قرى منطقة الجبلين مثل قفار والغزالة والقرى الأخرى التي يشاركهم فيها بطون من شمر وقبلهم من طئ.

٢. إذاً المحصلة من ذلك أن منطقة الجبلين كانت تعيش شبه فراغ بعد هجرة العماليق وحين قدمت طئ إليها واستوطنتها..

٣. أن منطقة الجبلين لم تكن في يوم من الايام إلا ممراً ومنطلقاً لهجرات القبائل العربية التي دامت لقرون عديدة قبل الإسلام - الكنعانيون والعموريون والكلدانيون تتجاوز مرحلة هجرتهم الثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وربما أكثر من ذلك - ثم أصبحت المنطقة بعد الإسلام ممراً للقوافل القادمة للحج من بلاد الهند والسند وفارس والعراق وشمال الخليج، وممرا أيضاً لقوافل الفاتحين الذين يلتحقون بالجيوش الإسلامية في المنطقة ذاتها.. هذا بدوره يجعل فكرة بقاء أفراد

وعوائل وربما بطون من القبائل العربية المهاجرة من جنوب الجزيرة قبل الإسلام وبعد ظهور الإسلام أمراً وارداً جداً، وكذلك بقاء أفراد وربما جماعات من قوافل الحج أيضاً أمر وارد، وهذا بدوره جعل هناك أخلاط قبائل في منطقة حائل والمناطق المشابهة لها مثل الجوف والقرى الموجودة في منطقة الجبلين بعضها دخل في إئتلاف (أحلاف) وبعضها بقي مستقل بذاته، وهذا بدوره أيضاً أوجد طبقات المجتمع المعروفة في مناطق نجد وشمال الجزيرة العربية.

٤. أن لفظ " شمر " منسوب إلى طئ وقد سبق ذكره ونسبه، وهذا يعنى أن التسمية ليست مقترنة بهجرة عبده وقدومها من تثليث - بلاد قحطان - إلى جبل طئ كما يقول البعض، وإنما من بقي في الجبلين من بطون طئ ولم يهاجر شمالاً، ومن قدم من بلاد قحطان، عبده - وإستوطن بلاد طئ حمل الاسم - ربما لقوة وسطوة صاحب الاسم، وربما لكثرته، وربما لغلبته، وربما لأي سبب آخر، ونحن نعرف جميعاً أن الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وما يليه عرف بأرض كنعان حين قدمت إليه قبيلة كنعان من الجزيرة العربية في القرن الثلاثين قبل الميلاد ثم بعد ذلك بألف ومئتين سنه قبل الميلاد قدمت قبيلة فلستين من جزيرة كريت واختلطت بالكنعانيين وذابت في بوتقتها واخذت بلغتها وديانتها وعاداتها وتقاليدها إلا أنها أعطت أسمها للأرض فصار منذ ألف ومئتين سنة قبل الميلاد اسم فلستين - فلسطين فيما بعد - مقترن بأرض كنعان ثم إندثر ذلك الاسم ولم تعد تعرف تلك الارض إلا بفلسطين.

٥. إن قدوم عبده من بلاد قحطان أو أنها كانت ضمن الهجرة السابقة لطئ - على أنها جزء من طئ وبطن من بطونها - ثم عادت إلى بلاد قحطان ثم هاجرت مرة أخرى إلى أرض الجبلين لن تغير من الامر شيئا، فطئ هي في الأصل من قحطان وعبده إن كانت جزء من طئ فهي في الأصل من قحطان، وإن كانت من قحطان ثم تبعت طئ في هجرتها إلى بلاد الجبلين فهي تكون لحقت بأبناء عمومة

ولم تكن لتشكل أخلاط كما يظن البعض في محاولة لجعل شمر قبيلة ائتلاف تكونت من أخلاط إذ أن عبده وطئ في أسوأ الحالات بطون من بطون قحطان سبقت إحداها الأخرى في هجرتها إلى أرض الجبلين، اجتمعت في موطنها الجديد وأخذت بمسمى واحد فرضته عوامل كما قلنا قد تكون السلطة والقوة والكثرة والمنعة أو ....إلخ.

٦. هذا الحديث " هجرة عبده واختلاطها بأبناء العمومة من طئ " أو عودتها ثانية إلى أرض الجبلين من أرض قحطان ربما جاء في القرن السابع أو الثامن، أو ربما التاسع أو العاشر الهجري تاريخه لن يغير من الأمر شئ وهو غير محدد لأن تلك الحقبة تقع في حقبة الركود الفكري التي سبق الإشارة إليها من قبل، وهي الفترة التي ندر فيها التدوين والبحث والتطور الفكري والعلمي في كافة مناحي الحياة. هذه الحقبة أتت بعد فترة الثراء الفكري التي بدأت بدولة المصطفى ﷺ في المدينة المنورة وامتدت لعدة قرون عبر دولة الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية وبعدها الدولة العباسية وفيها تم إرساء أسس الفكر والحضارة الاسلامية الخالدة في فترة ثراء فكري لم تعرف البشرية مثيلاً لها. هذه الحقبة انتهت بتمزق الدولة العباسية وقفل باب الاجتهاد وركود الفكر، وهو الركود الذي دام لقرون عدة انتهت تلك الحقبة بهيمنة الفكر والحضارة الغربية المعاصرة مع نهاية القرن الميلادي التاسع عشر ومطلع القرن الماضي (القرن العشرين) ودخول أمه الإسلام في حقبة أسميتها بفترة : ازدواجية الولاء الفكري[(١)].

لهذا السبب لم تدون تلك الهجرة ولا أحد يستطيع أن يجزم بوقتها على وجه التحديد كما سبق وأن أشرنا، وهي ليست الحدث الوحيد الذي لم يدون ولم يؤرخ وإنما هي أحداث عديده دارت أحداثها وشواهدها في حقبة الركود

(١) لمزيد من الإيضاح إرجع إلى كتاب : أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري للمؤلف.

الفكري المذكورة والتي لم يكن أحد يهتم إلا بلقمة العيش إلا ما ندر من حالات فردية نادرة ومؤرخين ومفكرين عرفوا في تلك الحقبة المظلمة كنقط ضياء ولكنها قليله نادرة.

ولكن الجهل بتاريخ الحدث ـ هجرة عبده وإنضمامها إلى أصلها من بني شمر من طئ، أو عودتها من بني شمر ـ لن يغير من الأمر شيئاً فشمر اليوم هي بطون عديده أحد هذه البطون عبده، وإلى هذه البطن الذي سيطر وهيمن على قيادة قبيلة شمر ينتمي (آل علي) مدار بحثنا ... إلى شمر ينتسبون وإلى عبده ينتمون وهم بيت من بيوت عوائل (الجعفر) الذين عمروا الضفة الغربية لشعيب (وادي) الديرع كما سنرى.

٢. آل علي ... النسب :

حين أتحدث عن الإطار الفكري للإدارة في محاضرة أو أمام مجموعة من الدارسين، أو عن نشأة الإدارة ومداخل دراستها، يلحظ المستمع جنوحي وميلي وتركيزي على إبراز أثر البيئة وولوجي المدخل البيئي والمدخل البيئي المقارن لدراسة الإدارة، فأنا من أهل هذا المدخل والمكثرين من ولوجه كلما أردت التقديم لعلم الإدارة، فالإدارة تؤثر وتتأثر بالبيئة ولا يمكن فصل العرى الوثيقة بين البيئة والأنماط الإدارية التي تعيش فيها وتتفاعل معها وتؤثر وتتأثر بها سلباً وإيجاباً إذ هي كالنبات الذي لن يعيش ولن يثمر في بيئة مغايرة.

لهذا السبب لم أجد بين ما وقع عليه نظري من مؤلفات وأبحاث عن منطقة حائل وتاريخها أفضل وأقرب للقلب والحقيقة أفضل مما كتبه الأخوة : سعد بن خلف العفنان (أبا مفيد) وقد اقتبست عن مؤلفه" حائل وعبقرية المكان" الكثير والكثير في الفصلين الأول والثاني كما مر بنا، وقد أشدت به وبمؤلفه حين الاقتباس. والى جانبه أخي الفاضل اللواء متقاعد / عقيل بن ضيف الله القويعي

(أبا أحمد) في مؤلفه " أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل " والذي يستحق الإشادة به وبما قدمه من عمل جليل في مؤلفه آنف الذكر ...

أهمية المؤلفين ترتبط بأن من قام بجمع مادتهما وألف بين محتوياتهما من البيئة ويعرف حائل وحارتها وأهلها وتاريخها أكثر من أي أحد من خارج البيئة حتى وإن علت مكانته الفكرية ودرجته العلمية إذ أن هناك أساتذة تاريخ ومؤرخين ولكنهم لم يسبروا غور بعض المناحي كما فعل الاخوة (أبا أحمد وأبا مفيد) بعفوية دون تكلف.. على سبيل المثال : عقيل عندما يتحدث عن الجعفر وعوائل الجعفر ومساكنهم هنا وهناك فهو واحد منهم أمر طبيعي أن يعرف أخاه وعمه وابن عمه، وأن يعرف مزرعتهم وأين تنتهي وأين تبدأ مزرعة المطير أو النعام مثلاً أو آل علي أو الحميان أو أي من العوائل الأخرى. وحين يتحدث أبا مفيد عن الخَنَقْة والصُفَيَحْ وتُوْارنْ ... وغيرها فهو ابن المنطقة وتلك مناطق عرفت طفولته ونشأ فوقها ويعرفها شبراً شبراً ويعرف أهلها فرداً فرداً.. من هنا تأتي أهمية ما كتبوه دون أن نجد فيما صدر عن الآخرين نقيصة أوعيب لا سيما المؤلف القيم للدكتور / عبد الله بن صالح العثيمين " نشأة إمارة آل رشيد " ففيه معلومات قيمة لا نستطيع إلا أن نشيد بها. تلك مقدمة لما سأفعل علي الصفحات التالية إذ سأعمد للنقل وبصورة تكاد تكون تامه لما دونه أخي العزيز (أبا أحمد) في مؤلفه آنف الذكر عن عوائل الجعفر، إذ أن أبا أحمد أعد هذا القسم في كتابه وكأنه ليحتل صفحات من مؤلفي هذا مع بعض التطوير والتعديل إذ سيكون حديثي مقترناً بموقع كل عائلة من عوائل الجعفر على ضفة شعيب الديرع لأقرب ذلك لأذهان النشئ - ابني وابن الأخ عقيل وغيرهم - أين موقع هؤلاء من هؤلاء ومن يجاور هؤلاء وما إلى ذلك.

آل علي ينتمون إلى شمر وإلى عبده، وإلى الجعفر، وهذا بحاجة إلى الإيضاح قبل أن نصل إلى تعداد عوائل الجعفر ومواقعهم على ضفة الشعيب

وموقع آل علي بينهم. شمر كما سبق وأن ذكرنا قبيلة طائية، حلت محلها وأخذت موطنها وأصبح جبل طئ لا يعرف إلا بجبل شمر، والمنطقة بلاد شمر وهي التي في الأصل بطن من بطونها، وهذا الحدث عند أغلب الباحثين هو في القرن العاشر ـ أي مرافق لهجرة عبده ضمن هجرة الضياغم من تثليث إلى منطقة الجبلين.. الضياغم " عبده " منذ ذلك التاريخ وهي جزء من شمر التي فصلنا آنفا جانب من تكونها قدر المتاح لنا من معلومات ومصادر بحثيه ... منذ ذلك التاريخ والقيادة وما يقترن بها من سلطة هي بيد " عبده " التي ربما قدمت في هجرتها من تثليث أو في عودتها من تثليث إلى موطنها الأصلي بلاد الجبلين والقيادة الموجودة لمن بقي من بطون طئ قد تزعزت إما بسبب الحروب أو بسبب الهجرات المتتالية أو بسبب قوة القادم من خارج الكيان " عبده " فأصبحت القيادة لهم وأصبحت الغلبة، بل وحتى " النخاوة " التي " ينتخي " بها رجالات شمر اليوم هي خاصة بعبده " السناعيس "ثم أصبحت لشمر وبقدوم عبده " السناعيس " ارتحل جزء كبير من طئ إلى العراق والشام ولم يعد لهم بعد ذلك من ذكر في بلاد الجبلين حيث إنضم من بقى منهم إلى القادم مع المتبقي تحت مسمى المتبقى " شمر " وتحت قيادة القادم " عبده " أما الذين أجبروا على الرحيل فقد حفظ لهم الحدث أبيات بهيج بن ذبيان آل عبيد أحد زعماء من أرتحل من سنبس إذ لم ترتحل جموع سنبس كما سبق أن ذكرنا حيث بقى منهم من بقي، ومنهم الزميل، يقول بهيج [1]:

يقـول بهيـج بـن ذبيـان مثايـل
دمعه على الأملاك دون الشلايل

جلونـا عـن ديارنـا العذيات شمـر
قـراح وبـرد مـاء يـداوي الغلايـل

ونحينا رقاب القود عنهم وغربن بنا
ودموع العبيديات على النجدات سايل

---

(١) لواء / عقيل ضيف الله القويعي : أقوال وسائل في أخبار منطقة حائل، مرجع سابق ص ٩٤.

لا صار ما عدل يعادل عديلة ما ينقعد بالدار والشيل مايل
ولا صار ما حكم الفتى بذراعه هبيت ياحكم يجئ بالدخايل
صبار على الزهدة بسوء فعلهم بالنسب ما يوجد لهم بالقبايل
لئام لو حَجّتّهْم كعبة الرضا يجازونك عنها بالبايرات الفسايل

وتقول بهيجة بنت بهيج بعد الجلاء عن أجا إلى العراق(١)

قالت بهيجة يا يبه ناض بارق ينوض من فوق العنود سناه
هي هقوتي يا يبه وهاجوس خاطري يسيل من بين البازمين غثاه
لا على بالعمر من شاف قارح لا مال من فوق الجريد قناه
هو ليش أنا ما أبكي وأكثر البكاء على ديرة قيد القعود رشاه

وكان موطنه عقدة التي كما ذكرنا إحدى القرى والمواطن بسنبس من طئ ورثتها شمر عنهم وكذلك توارن وجو ومشار ونقبين وبلطة والغينة والوريد وغيرها من أودية وقرى أجا. يقول أحد شعراء شمر وهو يفتخر بأمجاد قومه وقوة بأسهم وجلدهم في الحروب :

يا شارخ أركب فوق ناب النسانيس حر هميم من نجايب نضاها
نوخ علي عدوان وسيرعلى نعيس وقل الدار دار اللي بسيفه حماها
الدار لليتمان لو يزعل نعيس ولو يغضب التومان واللى وراها
قبلك بهيج حدروه السناعيس من عقدة اللي ما يزحزح قناها

ورحيل من ارتحل من سنبس بقيادة بهيج يغلب عليه الظن أنه تم بين أبناء العشيرة الواحدة لخلاف داخل كيان طئ وما شمر إلا جزء من طئ وما عبده إلا جزء (بطن) من طئ، إذ أن من غير المعقول أن تتفق بطون طئ الأخرى مع عبده - الوافدة من خارج الكيان كما هو عند البعض - على بطن من طئ وهم سنبس

---

(١) عبد الرحمن المرشدي : شريط مسجل بصوته.

وهم أبناء عمومة وجزء منهم ... ذلك ما نرجحه وهو ما اشار إليه (أبـا أحمد) نقلاً عن عبد الكريم بن محمد السالم السبهان والـذي أشار إلى أن عبده إنتقلت من بلاد طئ " نزيعة" إلى بـلاد قحطـان ـ الموطـن الأصلـي وأبنـاء العمومـة ـ عندما حل بها الضيم ثم عادت إلى موطنها الأصلي " بلاد طئ " عندما انتفت الأسباب. وحين عادت وجدت الأمور التي استوجبت رحيل بطون طئ إلى العراق والتفاف ما بقي منها حول الأقوى وظهور قبيلة جديده مشتقة من طئ ألا وهي شمـر التي نعرفها اليوم والتي أصبحت منذ ذلك التاريخ قيادتها ـ في الحـاضرة وأجزاء كبيرة من البادية ـ في آل جعفر ورئاستها في آل علي من آل جعفر.. وهذا المنحى يتفق مع بداية إمارة آل علي من الخنقة الذي يرجح أنه في القرن العاشر وربـما مطلع القرن الحادي عشر.

قبيلـة شمـر ، ما هي البطون المكونة لها ؟ وأين موقع أسرة آل علي من ذلك ؟ يقول اللواء متقاعد / عقيل القويعي في كتابه آنف الذكر وقبل أن يشـرع في تعداد بطون وأفخاذ شمر وعشائرها ما نصه : (... أوردتها بطون وأفخاذ وعشائر بعد أن رجعت إلى عدد من الكتب التي أوردت نسبهم وكذلك بعض الشجرات وقد ندر أن وجدت تطابقاً فيمـا أطلعت عليه وقـد قـارنت مـا توصلنـا إليـه مـع روايـة بعض الثقـات في توزيـع القبيلـة إلى بطـون ثـم إلى أفخـاذ وعشـائر ومـا يتفـرع دون ذلك فوجدت أن أقرب شئ إلى الصواب هو ما دونته مستنداً إلى ...) وقـد عـدد العديـد مـن المراجـع الـتي لا تتفـق علـى تصنيـف وتنسـيب قبيلـة شمـر وبطونـهـا وفخوذهـا وعشـائرها ، وإنما تنحـى منـاحي مختلفـة في ذلـك قـل أن تجـد بينهـا مـن يتفـق ، هـذا في نظـري يعـود إلى رفـع البعـض للفـروع إلى مصـاف الأصـول أو العكس. بعد هذا التقديم عدد اللـواء م / عقيـل القويعـي بطـون قبيلـة شمـر علـى النحو التالي :

أ. **بطن عبده :**

ومنه اليحيا والجعفر والربيعية والدغيرات ويلاحظ هنا أنه أدرج الدغيرات كفخذ من عبده ثم أدرج الغيثة ضمن الدغيرات. وهذا مخالف لما عليه البعض ممن يعد الغيثة كبطن مستقل من بطون قبيلة شمر ثم يعد الدغيرات من الغيثة وكذلك الذين يرون الغيثة بطن مستقل وكذلك الدغيرات كبطن مستقل، وشيخة الدغيرات بالسعيد، وتضم الدغيرات إلى جانب الغيثة كل من العليان والتريبان والحسين والشريهة.

ب. **بطن سنجاره :**

وهذا حل محل زوبع الذي هو في الأصل بطن من شمر ويضم سنجارة وزايده ولكن سنجاره حل محل زوبع. وزوبع هو الأصل وهو ابن محمد بن الحارث وتضم فخذان هما سنجارة وزايده، وقد طغى إسم الفخذ الأول " سنجارة " وأصبح إسماً للبطن. ويضم فخذ سنجارة عند (أبا أحمد) الثابت ومنهم التومان الذين يرى غيره أنهم بطن مستقل من بطون شمر ويضم أيضاً الزميل ومنهم الشلقان والثنيان والنمصان والنبهان ويضم أيضاً الزامل، ومنهم السويد والفداغة ويضم أيضاً الغفيلة ومنهم الرمال والقنى. ويضم فخذ سنجاره " زوبع وهم الذين احتفظوا بالإسم الأصلي " زوبع " أما الفخذ الثاني من سنجارة فهو " زايدة " ويضم الخرصة والعمود والصبحي والبريك والحسينة والغرايسة.

ج. **بطن الأسلم.**

ومنه المنيع والوهب والصلته. ويضم فخذ المنيع الطواله والمسعود وغيرهم ويضم فخذ الوهب المحمد والغدير والجذيل ومن الجذيل انحدرت الهمزان. أما الفخذ الثالث وهم الصلته فيضم الغرير والمناصير.

هذا التصنيف الذي أوردناه نقلاً عن اللواء م / عقيل القويعي نقله ودونه بعد جمعه كما ذكرنا من العديد من المراجع والأعيان والشيوخ ذكر منهم راكان التمياط وسعد بن طوالة اللذان أخذ عنهم الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل بعض من مادة كتابه " كنز الأنساب " فيما يتعلق ببطني سنجارة والأسلم أما بطن عبده فقد ذكر أنه إستند إلى معلومات أخذها عن حمود بن جدي ومطني بن رسام وعبد الكريم السبهان وكلهم من شيوخ وأعيان شمر ولا نزكي على الله أحداً.

وبعد تصنيفه هذا ذكر أبا أحمد أبيات للوبير يخاطب بها محمد العبد الله الرشيد ويعدد فيها بطون شمر التي يتضح من الأبيات أنها عند الوبير أربعة : زوبع (سنجارة) والسناعيس (عبده) وأهل اللحيسة (الاسلم) وأولاد علي (الدغيرات) ... أي أن الوبير جعل الدغيرات بطن مستقل عن عبده وهذا خلاف تصنيف صاحب " أقوال ومسائل " كما نقلت عنه آنفا " . أما سليمان بن صالح الدخيل الذي وضع عام (١٣٣٨ هـ) مؤلفه " القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد فقد صنف شمر إلى البطون التالية[١]

أ. الدغَيرات (وهم كما قلنا من عبده).

ب. التُومان.

ج. عَبْدَه.

د. الأسَلم.

هـ. سنجارة.

ثم عدد من عبده الفخوذ التالية :

أ. الهامل.

ب. السليط.

(١) سليمان صالح الدخيل : القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد (بغداد ١٣٣٨ هـ) ص ١٦٢.

ج. الجري.

د. الجنده.

هـ. الجعفر.

و. الويبار.

ز. الفضيل.

ح. المفضل ... إلى جانب الدغيرات التي هي فخذ من عبده كما قلنا :

ثم فصل الجعفر على النحو التالي :

أ) آل عطو.

ب) آل حمير.

ج) آل جشم.

د) آل رزين.

هـ) آل شرهان.

و) آل خليل.

ز) آل علي :

وهذا التصنيف لشمر ثم لعبده ثم لآل جعفر فيه تباين مع ما ذكره صاحب " أقوال ومسائل " كما أشرنا من قبل إذ أن " أبا أحمد " عدد فخوذ عبده وحصرها باليحياء والجعفر والربيعية والدغيرات، ثم جعل المفضل والفضيل والجنده والجري والهامل والسليط ضمن فخذ اليحياء. أما الويبار فقد جعلهم من العفاريت من الربيعية وهذا بطبيعة الحال أمر وارد إذ لا يتفق على ذلك مراجع معينة تشتمل على ما يمكن أن يكون جامعا مانعا وذلك مرده كما قلنا من قبل فترة الركود الفكري الذي جعل الأمة تبتعد عن التدوين والتاريخ والتأصيل والابداع الفكري بكل ظروفه وأصنافه حيث انصرفت إلى تأمين لقمة العيش.

إلى آل جعفر من عبده إذ ينتسب آل علي مدار بحثنا وهـم أبناء عمومة للأسر التي استوطنت الضفة الغربية لشعيب الديرع كما ذكرنا، ومن جموع هذه الأسر تتكون حائل القديمة حيث البداية لحائل المدينة مرتبطة بفخذ الجعفر والعوائل التي ترتبط في أغلب الاحوال بالمصاهرة إلى جانب النسب إذ يندر أن تجد أسرة من أسر الجعفر ليس لها مصاهرة مع أسرة أخرى أو أسر أخرى من الجعفر، وهذا ما زاد الترابط بين هذه الأسرة التي سنفصل تعدادها ومواقع وجودها وأملاكها على ضفة الشعيب الغربية في الصفحات التالية مـن هـذا الفصـل قبـل أن نختمه وننتقل بإذن الله تعالى في الفصل الذي يليه للحديث عن أسرة آل علـي والعوائـل المتفرقة داخل كيان الاسرة (آل علي)، ومتى بدأت سلطتها في الجبل، ومتى انتهت حيث انتقل الأمر بعد ذلك إلى أسرة آل رشيد وهم من الجعفر أيضا وأبناء عمومة لآل علي.

٣. آل علي.. الموطن وأبناء العمومة:

تحدثنا كثيرا عـن حائل كمنطقـة وكمدينـة، ثـم كموطـن لطيء ومن بعدها شمر. وتحدثنا عن طيء كأصل، ثم عن شمر كفرع مـن الأصـل تنتمي إليه عائلة آل علي، وعن قحطان كأرومة تنتمي إليها طيء وشمر التي ظهرت من بطن طيء.. وحين نتحدث عن الموطن فإنه ذلك الشريط الضيق الذي يحف شعيب الديرع من الغرب والذي لا يتجاوز في الخنقة بضع مئات من الأمتار لا تتجاوز في معظمها أربع أو خمس مئة متر. وسنركز هنا الحديث عن عوائل الجعفر التي ترتبـط بالدم مع آل علي وبالمصاهرة كما قلنا كأبناء عمومة.. أي هنا يتقلص الحديث وينحصر في الخنقـة وما جاورهـا ومن عليها من عوائـل بعـد اتساع الحديـث و تشعبه في الفصول السابقة وما تقدم من مواضيع هذا الفصل.

إن ما يدفعني لتخصيص هذه العجالة للحديث عـن الخنقـة وإرتبـاط آل علي بها هو ما يتداوله بعض الكتاب وما تتناقله بعض المراجـع والروايـات عـن الموطن